



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

الحب والزور

قصة كفاح الشعب الجزائري في سبيل حريته واستقلاله
منذ فجر التاريخ حتى اليوم



الطبعة الثانية

حزيران ١٩٥٥



داس
الثقافة العربية
نقدم

سلسلة تاريخ

الإستعمار الأوروبي في البلاد العربية

١
الحجزائر
مجلد

قصة كفاح الشعب الجزائري في سبيل حرية واستقلاله
منذ فجر التاريخ حتى اليوم

نشر

مكتبة الاقتصاد
بجلب

الطبعة الثانية

حزيران ١٩٥٥

(Arab)

DT284

J39

يطلب من

مَكْتَبَةُ الْاِفْتِصَاءِ

عَبْدُ السَّمِيعِ عَفْشَن

طلب - باب النصر

هاتف ١٣٧٧٣ - ص - ب ٤١٥

87-B3D4-1

مقدمة

أخي العربي

(... الاستعمار نظام استغلالي جبري للجماهير الانسانية الفقيرة ، اساسه الظلم ، والظلم والطغيان هما عماد تمر كزه .)
بهذا عرف « أيميه سيزار » الاستعمار ، ومهما موّث هذه الفكرة وحوّرت فستبقى محاولة التويه والتحوير خداعاً قليل الحظ من النجاح ، والقول بأن الاستعمار مظهر ديناميكي للحضارة ا كذوبة تحتاج الى المزيد من البراهين لدعمها . وها هو « السيد الير سارو » الاستعماري الفرنسي الناثر يقول : (... دعونا من الخداع والمخاتلة فما نفع تمويه الحقيقة ؟ ان الاستعمار لم يكن منذ البداءة حركة حضارية بل كان حركة قوّة نفعية ، انه مرحلة صراع من اجل الحياة ، صراع التزاحم الحيوي الكبير الذي انتقل من الاشخاص الى الجماعات ومن الجماعات الى الامم وراح ينشر ألوّيته فوق العالم الفسيح . ان الشعوب التي تبحث في القارات البعيدة عن مستعمرات لا تفكر في بادئ الامر إلا في نفسها ولا تعمل الا لقوتها ولا تغزو إلا لصالحها ، انها تبحث

في هذا كله عن منافذ تجارية او نقاط ارتكاز عسكرية وسياسية .
ان الاستعمار ليس عملية اغتصاب فقط ، انه عملية اغتصاب
هائلة عملية ابادة شعب ليحل مكانه شعب آخر . هو الفتح
البربري المرفوق بالقتل والنهب والذبح) .

. . .

فالاستعمار وليد الاغتصاب لا يستطيع ان يبقى على الحياة
الا بالاغتصاب والاستعمار لا يحمل الارهاب ويسير على مبدأ
الاغتصاب والنهب والتقتيل وانما يحمل الاهانة للانسان
والكراهية له ، هو انقلاب مرعب لأخط الغرائز الانسانية .

ان الاستعمار لم يمت ابداً ، انه يتفنن بتجديد اشكاله
كالانتداب والحماية والوصاية والمجال الحيوي والحد الثقافي المشترك
والمساعدات الفنية والمصالح المشتركة والمواقع الاستراتيجية ،
فهو يسير من سياسة الفتوح الى سياسة الادمج الى سياسة
الاستغلال فالتكتلات فالاتحادات الى سياسة دفع الخطر المشترك .

بهذه الروح الواعية لخطر الاستعمار تتابع دار الثقافة
العربية نشر هذه الدراسات عن تاريخ الاستعمار في البلاد العربية
وغرضها من ذلك تصوير نضال شعوب البلاد العربية في سبيل
حريتهم وتصوير الفواجع والمآسي التي نزلت بالعالم العربي نتيجة
لهذا النوع من الفتوح ، وتحليل الاخطار المحيطة به مما يحمي
الاستعمار له بأثواب جديدة براقة .

وإذا بدأنا سلسلتنا العزيزة هذه بقصة الجزائر الشهيدة
فلسطين المغرب فلا أن الجزائر هي البلد العربي الوحيد الذي ذاق
طعم الاستعمار مبكراً ، وأي استعمار ؟ الاستعمار الفرنسي الغاشم ،
ولا قى من تشكيله الشيء الكثير ، وسنكتب في حلقات هذه
السلسلة المقالات قصصاً أخرى عن الاستعمار في بقية أنحاء
الوطن الخالد .

• • •

ومهما يكن من امر ، ومهما بلغ الاستعمار في التجديد فإن
أيامه قد ولت ، لقد هدمه الوعي القومي ولن يقوى على الصمود
ومقاومة الانهيار ، وما هذا التكاثر الذي يظهره على التمسك
ببقايا ارثه القديم : الا دليل الوهن الذي يعتري اوصاله .

• • •

والغرب العربي - والجزائر درته - جزء من العالم العربي
المفدى هذا العالم الكبير الذي تمتد ارضه الطامية من حدود
الاطلسي الى جبال ايران ، يضم اخوة فرقتهم الدار وجمعتهم
المشاعر والعواطف وأواصر النسب والدين واللغة والتاريخ منذ
اصبح الاطلسي الحد الغربي لوطنهم الكبير المفدى هذا .

وليعلم الغرب بأن كل بلاد تنطق العربية بلادنا مهما بعدت
الشقة ولا بد أن تحرر بلادنا منها تلونت مشاريع الغرب وتوهج
بريقها . وليعلم الغرب المستعمر لبعض بلاد العرب بأن العرب

اخوة ولا بد ان يتعاون الاخوة في البأسا والشدة وان يطردوا
المستعمر وان يتحرروا من مشاريعه مهما طال الزمن .

امة واحدة تسعى لهدف واحد وحدة العرب وحريتهم ،
تؤمن بالحق وتدعو الى الخير وتسعى لنشر السلام وتدفع البغي
والعدوان والظلم اينما كان .

يدفعنا الى ذلك ايماننا بالحرية وماضينا العارم بالمفاخر
ونمسكنا بالقيم الانسانية الرفيعة ، لهذا نفصح الاستعمار وننشر
مظالمه .

عن لجنة النشر - محمد رشدي الجندي
ليسانس في الآداب



تعريف الاستعمار

ظهر الاستعمار الحديث Imperialisme في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب المنافسة بين الدول الأوروبية الكبرى ولا سيما بعد حرب السبعين التي حدثت بين فرنسا والمانيا ، وكان الغرض منه تدعيم السياسة القومية وتقويه السياسة الخارجية ونشر النفوذ الاقتصادي .

وقد عرف القرن السادس عشر والسابع عشر نوعاً آخر من الاستعمار Colonisation حدث على اثر الاكتشافات الجغرافية الكبرى التي قام بها البرتغاليون والاسبان ، وكان الدافع الى هذا النوع من الاستعمار السعي للحصول على الثروة من البلاد الجديدة والتخلص من الاضطهادات الدينية كما حصل للبورتيان الانكليز الذين رحلوا من ايرلندا وانكلترا وشكلوا العنصر الاساسي لسكان الولايات المتحدة والبروتستانت الذين غادروا البلاد الكاثوليكية . اما اسباب الاستعمار عامة في كل عصر وفي كل مكان فهي البحث عن المواد الاولية للصناعة كالقطن والصوف والفيحم والحديد والبستول والكاوتشوك . والسعي لايجاد اسواق لمنتجات المصانع الرأسمالية ، واييجاد المشاريع الجديدة في المستعمرات لاستثمار رؤوس الاموال الفائضة عن حاجة البلاد المستعمرة . والتقليل من كثافة النفوس كما ادعت ايطاليا او تأمين الطريق الى المستعمرة كما حدث في القرن الاخير لانكلترا وفرنسا .

ملحة تاريخية عن المغرب العربي

تضم كلمة « المغرب العربي » كل القسم المعروف باسم تونس والجزائر ومراكش ، اي الاقطار الثلاثة دون ليبيا ومصر ، فاذا ضمت اليها ليبيا ومصر عرفت باسم الشمال الافريقي .

ويقسم المؤرخون الجغرافيون المغرب العربي الى ثلاثة اقسام :

المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى بالنسبة للشرق العربي ، ولهذه البلاد ظروف تاريخية متشابهة منذ أقدم العصور ، فقد امتزج تاريخها منذ القديم بتاريخ الفينيقيين والقرطاجين والرومان والفانдал والميزنطيين حتى كان الفتح العربي .

(ومنذ سنة ٦٦٨ م سمح معاوية لعقبة بن نافع الذي كان مقيماً ببرقة بدخول افريقية وقد أمده بعشرة آلاف جندي) وتعني كلمة افريقية بهذا النص التاريخي المغرب العربي .

وفي سنة ٦٧٠ م وفق عقبة معاوية البربر الى القضاء على الحكم النصراني في شمالي افريقية جملة واحدة ثم عزل بعد ان انشأ مدينة القيروان « وهي في تونس اليوم » .

واعيد عقبة ثانية سنة ٦٨٢ م وسار بحمله جديدة نحو الغرب (اي نحو الجزائر ومراكش) حتى وصل ساحل المحيط الاطلسي وقال كلمته المشهورة ومنذ ذلك الحين فصلت ولاية المغرب عن مصر واصبح عقبة عليها والياً واعتقد العرب انها نهاية العالم .

ولقد حدد هذا الفتح العربي (الجديد) قوميتها ، العربية المشتركة التي توصف بها منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف ، حيث اصبحت منذ ذلك التاريخ عربية اللسان عربية القلب ، ولم يلبث اهل تلك البلاد ان اعتنقوا الاسلام لقربه الى فطرتهم وحياتهم واعتبروا انفسهم منذ الفتح الاسلامي جزءاً من الشعب العربي المسلم .

• • •

والمتصفح لتاريخ المغرب العربي يشعر شعوراً عميقاً بالمقاومات العنيفة التي كان يواجهها الشعب المغربي بها كل فاتح اجنبي لهذه البلاد ويدهش كيف ان الاسلام مع كل هذا صبغ هذه الارض بدينه وعرويته ، وكيف امتزج الدم واتصل النسب وارتبطت القلوب وتوحدت العواطف .

وبعد نصف قرن فقط من تاريخ هذا الفتح اصبح اكبر قائد عربي يغزو دار الفرنجة لاعلاء كلمة الاسلام من ابناء المغرب ومن ابناء البربر سكان البلاد الاولين وهو طارق بن زياد وما فتح طارق المغربي البربري اسبانيا وانما فتحها طارق العربي

المسلم ومنذ ذلك الحين لم يعد بين اهل المغرب غريب عن هذه
القومية الغالية التي تنتظم كل العرب في شتى اقطار الارض .

• • •

وبقي امراء قيروان امراء المغرب العربي وحكامه حتى دخل
عبدالرحمن الداخل الاندلس ونادى بالخلافة لنفسه وأمه بربرية فقبه
ادريس بن عبدالله بن الحسن وأقام نفسه على مراکش والمغرب
اميراً وهويتم برحم أيضاً الى البرابرة ثم كانت دولة الفاطميين في
المهديّة بتونس ثم كانت دولة بني باديس الفهارجيين التي غلبت
الفاطميين على ما كان بأيديهم من بلاد المغرب بعد ان رحلوا عنها
الى مصر ثم حكومة الملتهميين من بني تاشفين والموحدين من بني
عبد المؤمن .

ثم عاد الى الحكم العلويون واليهام تنتسب الاسرة الحاكمة في
مراكش اليوم والتي نفى الفرنسيون آخر ملوكها محمد بن يوسف
منذ عامين .

• • •

وظل المغرب العربي على هذا الحال حتى وقع الغزو التركي في
مستهل القرن السادس عشر ومهد السبيل للاستعمار الاوروبي ،
ولقد وقع اول صراع بين المغرب العربي والمستعمرين الاوروبيين
عندما وقعت مأساة الاندلس ، منها جر بعض الانداسيين الى
المغرب العربي وهم يأملون بالعودة الى ديارهم . وكانت اصداء المظالم

التي يوقعها الاسبان بالعرب تصل الى اسماع المتاربة فتزيد الكراهية
والبغض للرجل الاوروبي في قلوب سكان المغرب العربي .

وتحقق خوفهم هذا عندما افلس الاوروبيون من المشرق
وقدسه بنتائج الحروب الصليبية فأرادوا ان يعرضوا عن ذلك بفتح
المغرب العربي ليلاقوا به - حسب ظنهم - المسلمين المستضعفين ،
وما كانت حملة المغاربة الصادقة على الصليبيين أقل ضراوة على حملة
المشاركة فتركوا قبر لويس التاسع في قرطاجة شاهداً على ما لقيه
الاوروبيون من خسران في سبيل صليبيتهم على المغرب العربي ،
رغم انهم حققوا حلم القديس لويس في انقرن التاسع عشر بفتح
المغرب العربي وسند تعرض خلال الصفحات المقبلة قصة اولى
فريساتهم .



جغرافية الجزائر

تتوسط بلاد الجزائر بين البحر الأبيض المتوسط شمالاً
والصحراء الكبرى جنوباً وتونس وليبيا شرقاً ومراكش وأفريقية
الاستوائية غرباً .

تبلغ مساحتها / ٢,٢٥٠,٠٠٠ / كيلو متراً مربعاً وحدودها
هذه منذ القرن الثالث ق.م ، فهي من أوسع أقطار الشرق الأدنى
ومساحتها تبلغ أربعة أضعاف مساحة فرنسا وأكثر من عشرة
أمثال مساحة سوريا وستين مرة مساحة سويسرا !! .

تقسم الجزائر إلى منطقتين المنخفضة الجبلية الأطلسية ومساحتها
قدر مساحة سوريا تقريباً / ٢٠٧ / ألف كيلو متراً مربعاً ، ومتوسط
ارتفاع الجزائر العامة عن سطح البحر يزيد عن / ٥٠٠ / متراً
ويندر أن نجد سهولاً غير السهول الساحلية يقل ارتفاعها عن
مائة متر . يتأثر مناخها بثلاث مؤثرات : المحيط الأطلسي والبحر
الأبيض المتوسط والمرتفعات والمنخفضات المحلية ، وتتمتلكها رياح
من المتوسط شمالية وأخرى من المحيط غربية وثالثة من الجنوب
صحراوية (السيروكو) والمجرى الوحيد الذي يأخذ شكل نهر
هو مجرى نهر الشليف الذي يزيد طول مجراه عن / ٧٠٠ / كيلومتر .

وتقسم الجزائر ادارياً الى ثلاث مقاطعات هي :
وهران ومركزها وهران وتبعها : معسكر ، مستغانم ،
سیدی ابو عباس ، تلمسان .

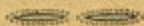
الجزائر ومركزها مدينة الجزائر وتبعها : مدينة ،
میلیانة ، اورلئان فيل ، تیزی اوزو Tizi ousou . قسنطينة
وفي هذه المقاطعات جميعاً حوالي سبعة ملايين نسمة عدا
الجيوش الفرنسية . يضاف اليهم سكان الجزائر الجنوبيين وعددهم
قاربة مليون ، واذا اضفنا اليهم مليوني دخيل اجنبي كان عدد
سكان الجزائر حسب آخر الاحصاءات /١١/ مليون نسمة بينهم
جالیات اسبانية وايطالية ومالطية ويهودية تقطن اكثرها الاماكن
الخصبة وتشكل الجاليات الفرنسية ٨٦ ٪ منها .

وقد قطنت هذه الجاليات الجزائر منذ القرن /١٦/ لاستغلال
خيراته ، وقد تضاعفت في ايام الحكم الافرنسي عدداً وثروة .

وتحتل الحبوب المكان الاول في الزراعة ثم تنتشر الحلفا
والكرمة حتى اصبح النبيذ مورد ثروة للجزائر فهي رابع دولة في
انتاجه ، وكذا تشتهر بتربية المواشي وتصدر مليون رأس غنم ،
ومساحة المنزرع من الجزائر /٢٠/ مليون هكتار ، وتشتهر
باستخراج الفحم والحديد والرصاص والزنك وتقتصر الصناعات
على المعاصر والمعجنات والكونسروة والاسمنت والسجاد والجلود
والبرانس . وتصدر المواد الاولية الى فرنسا وتستورد المنتجات
الصناعية .

وفيه شبكة حديدية طولها /٤٨٠٠/ كيلومتراً وفيها
/٣٥٠٠٠/ كيلومتراً طرق للسيارات ، ومطار مدينة الجزائر من
المطارات الهامة التي تصل افريقيا بأوروبا والى جانب هذا كله
فالجزائر بلد سياحي لا يقل اهمية عن سويسرا فالطبيعة الجميلة
الخصبة الغنية ، والمناخ المختلف والجبال الوعرة والسهول اللينة
واحداث التاريخ صاغت ماهية النفس الجزائرية على حقيقتها اما
سكانها فيرجعون الى اصلين اساسيين الحاميين الشماليين وهم البربر
والى ساميين وهم العرب وكان البربر يؤلفون الاكثرية الساحقة
قبل الفتح العربي ولا تزال ميزات العناصر الشمالية ظاهرة واكثر
القبائل البربرية ذات الدم الصافي مقيمة في جبال اطلس ولقد
كان تأثير العرب قليلا من البربر اسكنى العرب في المدن اكثر
من الجبال .

وقد ابتدأ انتشار الدم العربي ابتداء من القرن الحادي
عشر الميلادي وتابع عملية الامتزاج خلال القرنين الثاني والثالث
عشر بعد ان اخذت كثير من القبائل العربية تمهاجر بقضها وقضيضها
الى المغرب العربي واهمها بنو سليم وبنو هلال الذين لم يقيموا في
المدن وانما اقاموا في الجبال مع قبائل زناته البربرية .



الجزائر قبيل الاحتلال العثماني

ان غرب البحر الابيض المتوسط يعرض علينا لونا آخر من الوان الصراع بين الغرب والشرق في العصر الحديث ، ويكشف لنا عن نواح اخرى من العلاقات بين الجانبين تختلف عما نراه في شرق البحر الابيض المتوسط . فالحروب الصليبية لم تكن مقصورة على الشرق وحده وانما شملت ايضاً غرب البحر الابيض المتوسط فنارت بين المسلمين في الاندلس والنصارى في الشمال حروب طويلة تعرف بحروب الاسترداد Reconquista حروب لا تقل اهمية عما دار في الشرق بين الاسلام والنصارى ، واكثر من هذا فقد كانت الروح الدينية فيها اغلب واطهر ، فالحروب الصليبية التي استقرت في الشرق انتقلت من الشام الى مصر ومن مصر الى تونس والجزائر وهناك اقامت حتى اوائل القرن التاسع عشر حين انتهت بانتصار الغرب - فرنسا - واحتلال الجزائر وبداية استعمار افريقيا .

لقد كان المغرب العربي طوال العصر الوسيط ومطلع العصر الحديث مسرحاً لحروب كثيرة لا تسكن ريحها وصراع متأجج لا تهدأ ناره ، وليس غريباً ان نرى الفريقين يسلكان مختلف السبل للوصول الى النصر دون النظر الى مباح وغير مباح .

وبهذا أصبح المغرب ميدان حرب دائمة واصبح اهله يمتنون القتال
كهنة واصبحت موانئه معسكرات للجند اكثر منها مدن طبيعية
هادئة .

لقد كان لازماً على دويلات المغرب ان تحارب الاسبانيين
والبرتغاليين والفرنسيين الذين اتجهت همهم الى استعمار المغرب
العربي ان يحاربوا كل هؤلاء المستعمرين المتهاككين على استعمار
المغرب الموزع بين الحفصيين في تونس وبني عبدالوادر في الجزائر
ومراكش ان يحاربوا كل هؤلاء الذين افاقوا على الاستعمار بشراة
يريدون ارض المغرب العربي الخيرة بتربتها وموقعها ومعادنها فكان
طبيعياً ان تنهار مقاومة هذا الشعب الضعيف بعد طول صراع وان
يصعب اتحادهم لتكوين جهة واحدة ، فظلوا متنافرين يحتربون
فيما بينهم فيفسحون المجال للتدخل الاجنبي .

لقد استطاع الاسبانيون ان يحتلوا جزءاً عظيماً من ساحل
الجزائر وحصنوه بحصون منيعة . وكان بنو عبدالوادر والحفصيون
والعشائر قد استماتوا في دفاعهم ولكن دون جدوى .

. . .

واضاف سقوط الاندلس في ايدي الاسبانيين متاعب جديدة
الى سكان الجزائر حيث حملهم تبعات كبرى تجاه اخوانهم النازحين
اليهم من الاندلس ، عندما بدأ الاسبان والبرتغاليون النصاري
يذيقون المسلمين الاندلسيين الوان العذاب .

ولم يقتصر الاسبانيون على ذلك بل اخذوا يجوبون البحار ويحيطون على سواحل بلاد المسلمين فيخطفون اولادهم وينهبون سفنهم ويخربون المدن فلم يكن سبيل الى اقامة السلم بين نصارى الاسلام الكاثوليك ومسلمي المغرب العربي حيث اصبح النهوض لانتقاد المسلمين من اسبانيا واجبا دينياً يتحتم على كل مسلم ان يقوم به .

فلا غرو اذا قام اهل المغرب عامة والجزائريون خاصة بالغزو والحرب البحرية غير النظامية التي كانوا يقومون بها والتي يخطيء الكثير من المؤرخين الاوروبيين فيسمونها قرصنة او لصوصية وهي ليست في الواقع الاحرباً دينية من الحروب التي قام بها المغاربة دفاعاً عن الالهانه التي انزلها الاوروبيون الصليبيون الاستعماريون بأبناء دينهم الاندلسيين .

فالاسلام يعتبر بلاد النصرانية كلها دار حرب ، يباح الغزو فيها ويستحل السبي في ارضها ، وفي الحقيقة لم يفعل المغاربة اكثر مما فعله البرتغاليون في ذلك الحين من قرصنة ولصوصية وفي الواقع فان سكان غربي البحر الابيض المتوسط على تعدد اجناسهم واديانهم كانت تمارس القرصنة كمهنة تعتمد عليها في معاشها وقد كانت لهم اعشاش كثيرة في مدن ايطاليا التجارية وموانئ فرنسا واسبانيا ، والحق انه لم يكن مسلمون وحدهم يهاجمون سفن الاسبانيين والانكليز والهولانديين بل كان الاوروبيون يهاجمون بعضهم بعضاً فالقرصنة اصل مجد البحرية الانكليزية فلا غرابة اذا وجد بعض

القرصنة في شواطئ المغرب العربي .

• • •

ولقد هدا أهل الجزائر وازدهرت بلادهم في اواخر القرن الخامس عشر بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م حيث ان معظم النازحين من الاندلس كانوا من الصناع المهرة ومن المتمدنين الذين تذوقوا الحضارة والاستقرار ، فأخذوا يمارسون صناعاتهم القديمة الجميلة في وطنهم الجديد ولكن الاحوال المضطربة كانت تدعو حكام الجزائر الذين هم من الثعالبية الى احد امور ثلاثة :

١- الى توجيه قواهم كلها نحو البحر لمحاربة القرصنة الاوروبية.

٢- او التسليم للاسبان الذين اتوا يغزون بلادهم بقيادة (بدرو ن فارو) الذي كان لا يفتأ يهدد البلاد بمدافعه

٣- او الدخول في حماية احد كبار الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والشفور الاسلامية كلها في ذلك الحين ومعنى هذا كانه ان تهمل ما بدأه من تحضر وان تنصرف الى الحرب مها كانت الاسباب والنتائج .

هذه هي الظروف التي دفعت المغرب الى احضان الدولة العثمانية .

ولم يكن هدف العثمانيين نشر الامن والاستقرار والرخاء في البلاد كما كان هدف العرب ايام فتحهم للمغرب وانما كان هدفهم استغلال تلك البلاد - باسم الدين - شأنهم في المغرب شأنهم في المشرق ولهذا تركوا الحكم المحلي بيد الاغوات والدايات المحليين ، ومن هنا كان الحكم العثماني نكبة على المغرب - كما كان على المشرق العربي - لا رحمة له ونعمة كما يحسب كثير من البسطاء وقد تم الفتح العثماني للمغرب العربي على الشكل التالي :

استنجد الثعالبة حكام البلاد الجزائرية برجل ملاح مسلم عثماني التبعة اسمه « عروج بن يعقوب الملقب ببربروس الاول » لرد هجمات الاسبان .

لقد نشأ عروج هذا في جزيرة المدي (متلين) في بحر الارخبيل ولما اشتد ساعده في الملاحة افصل عن السلطان واتجه الى المغرب يريد القرصنة عوضاً عن الملاحة في المشرق ، وبدأ يمارس القرصنة فذاع صيته في البلاد فأعجب به السلطان بيازيد مجاهداً في ارض النصرانية طالما كان يهاجم سفن المسيحية الاوربيين . ودخل في خدمة الدولة من جديد بعد ان اسر وفك اسره ، واعجب به ابن السلطان بيازيد وكان وزيراً للبحرية . ومن غارات ببربروس على ثغور اوروبا تجمعت له ثروة عظيمة .

ثم طلب من سلطان تونس محمد بن حسن الحفصي ان يدخل الثغور التونسية فرحب السلطان به ترحيباً كبيراً وعندها لحق به

اخوه (خير الدين بروس الذي نقل في مدى ثلاثة اشهر عدداً
 كبيراً من مسلمي الاندلس المهاجرين الذين سمح لهم فرديناند
 بالزوح) وهذا ما جعل صيته يملأ الآفاق ، وهذا ما جعله يتدخل
 بشؤون تونس حتى ضمها للدولة العلية الدولة العثمانية ، ويلاحظ ان
 خير الدين كانت تسيره فكرة دينية صادقة وهذا ما دفعه الى ان
 يضع نفسه تحت تصرف السلطان في الوقت الذي كان الولاة يعلنون
 انفصالهم عن السلطان فخلع عليه السلطان سليم لقب باشا و امير
 الامراء وساعدة بستة آلاف جندي استطاع ان يغزو بها الجزائر
 في مايس سنة ١٥٢٩ وبقية تونس في آب سنة ١٥٣٤ فدخل
 المغرب العربي كله عن طريق خير الدين في حوزة الدولة العثمانية .



الجزائر تحت حكم الاتراك

كانت ادارة الجزائر وبقية انحاء المغرب العربي تسير على نفس الطريقة التي سار عليها العثمانيون في ادارة ولايات المشرق العربي والعالم الاسلامي .

فكان يمثلهم في الجزائر باشا يعتمد في قوته على جنود من الانكشارية مقسمين الى اوجاقات يرأس كل اوجاق آغا وكان المغرب كله يقسم الى اربعة إيالات : الجزائر ، وتيطرى ، وقسطنطينه ووهران ، يحكم كلا منها باي يرجع في شئونه الى كبير البكوات في الجزائر نفسها ، ولاهل البلاد مجلس يسمى مجلس الشورى او الديوان يجتمعون فيه لانتخاب البايات والتشاور في شئون الادارة العامة .

وبتوالي ورود المهاجرين النازحين من الاندلس تكونت في البلاد فرقة بحرية حربية هامة من الجزائريين والتونسيين قسمت الى طوائف يرأس كلا منها قائد اسمه (الرئيس) .

وبهذا الترتيب الجديد تراجعت اوروبا عن غزواتها الاستعمارية الاولى عن المغرب عامة وعن الجزائر خاصة .

وقد ساعد على ذلك انشغال اسبانيا بحرب مع فرنسا حيث
استغل المسلمون هذه الحرب فبدأوا الاغارة على شواطئ اسبانيا
وفرنسا عائدین بالاسرى الذين كانوا يضاعفون البحرية الجزائرية
وبالغنائم الوفيرة التي كانت تنمي البحرية الجزائرية وقد ادركت
الجزائر في ذلك الحين شأواً عظيماً من الرفعة والمجد ، ولكن هذه
الدولة كانت تحمل في اطوائها عوامل ضعفها وانهيارها لانها لم تكن
تعتمد على جند مخلصين قدر اعتمادها على هؤلاء الاسرى ، وكذا لم
تكن تعتمد على موارد ثانية قدر اعتمادها على اتناوت الدول
الاوروبية وجمدت في التطور الاجتماعي والفكري بينما سار
جيرانها الاوروبيون اشراطاً بعيدة في الحضارة والرقى العلمي .



اضمحلال الدولة الجزائرية

بدأ اضمحلال الدولة الجزائرية في صورة عدا و تحاسد بين القوى التي اوكل اليها حماية الجزائر والقيام على شئونها وبين الحكام الاتراك الانكشاريين وبين جنود البحرية من الاندلسيين والمغاربة بين الباشا المعين من قبل السلطان والديوان المكون من الاهالي فقد انشغل الباشا بشئونه الخاصة وانصرف عن امور الدولة واجتهد لكي يجمع المال بالرشوة والسرقات فاجترأ عليه جنوده الانكشاريون وابى هؤلاء الباشاوات ترجع مسؤولية الاسراف في التعدي على السفن في اشغور فقد كان الباشاوات يدفعون الاهلين الى ذلك التعدي دفعاً ويتعهدون قراصنة مختصين لهذا العمل .

ولم يكن يشعر بوجود الباشا الا في الاحتفالات او الاجتماعات التي كان يقوم بها كرئيس الديوان، وكان يسلط الباشا فرقاً اخرى من الجند على الانكشارية لاختضاع شوكتهم فتنشأ الحروب الداخلية ، ومنذ سنة ١٦٥٩ أصبحت السلطة الفعلية بيد الاغوات قادة الانكشارية ووقع الصراع بين الاغوات والرئيسية (اى قادة الجند من الاندلسيين والمغاربة) فانتصر الوطنيون وغلب الاغوات ! واستلم رئيس (الرئيسة) الامر واصبح اسمه « الداى »

اي « الخال » ومنذئذ أصبحت السلطة بيد الدايات .

وفي مثل هذه الظروف استشرى خطر القرصان ومضوا في اعمالهم دون ان يكون عليهم رقيب اذ تحولوا مع الزمن من طلاب جهاد الى طلاب ثروة وغنم بعملية القرصنة هذه ، ونتيجة القرصنة ازداد عدد الاسرى الاسبان والفرنسيين والاطاليين وراجت تجارة الرقيق .

وقد روى (هايدو) المؤرخ الاسباني ان السادة العرب كانوا يتركون هؤلاء الارقاء يرتلون عباداتهم في بيوت اسياهم بخلاف ما كان يعامل الباريسيون به البروتستانت في ذلك الحين تماماً من الظلم والقسوة حيث كانوا يلقونهم تحت العجلات في الطريق ويتفرج عليهم الناس لخروجهم من الكاثوليكية واعتناقهم البروتستانتية .

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر هوت قوة اسبانيا البحرية وارتفعت قوى بريطانيا وفرنسا البحرية والبرية ، فاستراح المغرب من منافسة اسبانيا وبدأ يستعد لاستقبال هذا الناشئ القوي الجديد (فرنسا) . واخذ الضغط الفرنسي يزداد على المغرب بنسبة ما كانت تفقد فرنسا من مستعمرات واسواق في آسيا وامريكا .

ومنذ سنة ١٦٢٨ م حصل سانسون نابليون الكورسيكي على امتياز صيد المرجان من الساحل الافريقي فكانت شرκτη اول شركة افرنسية دخلت البلاد واول اموال اجنبية استغلت فيها

وتداخل في امور البلاد الداخلية واحتكر تجارة القمح بعد ذلك ،
وحصل قبله الايطاليون على امتيازات تجارية من خيرالدين بربروس
واصطرع التنافس التجاري بين الايطاليين والافرنسيين فأدى الى
مؤامرة انتهت بمقتل سانسون سنة ١٧٣٣ .

وقلق حكام الجزائر من هذا الصراع بين الجنس-وبيين
الايطاليين ، وبين ورثة شركة سانسون ، فصادروا منشآت
الاوروبيين جميعاً سنة ١٦٣٧ . ولكهم سرعان ما منحوا امتيازات
جديدة لشركات افرنسية جديدة اخرى نالت اكثر من امتيازات
سانسون وبقيت من سنة ١٦٩٤ الى سنة ١٧٥٤ .

ولكن الاوروبيين ارادوا اكثر من التجارة فلم ترق لهم
هذه الاتفاقيات التي كانت تحدد نشاطهم ، وكذا سكان الجزائر لم
يرتاحوا الى هذه الاموال الدخيلة التي عرقلت نشاطهم التجاري
الوطني ولهذا رغب الطرفان في الخلاص منها ، واخذ الرأي العام
في اوروبا يهاجم سياسة الاتفاق التجاري مع المغرب العربي لا سيما
وان الجزائر مثلاً ما كانت تعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع دول
اوروبا بالتساوي .

فحينما عقدت الجزائر صلحاً مع ريتير Ruyter الهولاندي
كان معنى ذلك نقض الاتفاق مع فرنسا وتوجيه القرصنة نحو السفن
الفرنسية وكان ذلك عام ١٦٦٣ .

وتحالف الجزائر مع لويس الرابع عشر سنة ١٦٧٠ م كان
 بمثابة اعلان حرب على انكلترا وهولاندا .

والاتفاق الذي تم بين الجزائر وانكلترا سنة ١٦٨١ كان اعلان حرب على السفن الفرنسية . وبهذا كانت القرصنة تؤذي الجزائر اكثر من ايذاءها الدول الاوروبية بسبب ما تقيمه نحو بلادها من العداء الشديد .

ونفذ صبر الاوروروبيين وافلت زمام الامر من يد حكام الجزائر فضربت انكلترا الجزائر بالمدافع ثلاث مرات عام ١٦٢٢ ، ١٦٥٥-١٦٧٢ بسبب القرصنة واعمال القراصنة الجزائريين .

وقد اضطر الانكليز اكثر من مرة لدفع الاتاوات الى داي الجزائر حتى يأمنوا على انفسهم ومتاجرهم من اذى القراصنة ، ولا ننسى ان انكلترا كانت في اوج عزتها البحرية آنذاك .

لقد كانت دولة انكلترا تؤدي /٦٠٠/ ايرة انكليزية في كل سنة وكانت دولة فرنسا تؤدي هدايا ثمينة بواسطة قناصلها ، وكانت دولة الدانيمارك تؤدي ادوات ومهمات حربية بقيمة اربعة آلاف ريال ، وكانت دولة هولاندا تؤدي /٦٠٠/ ليرة فرنساوية ومملكة سيليزيا /٢٤/ الف ريال وصاكة سردينيا /٦٠٠٠/ ايرة فرنساوية والولايات المتحدة آلات ومهمات حربية بقيمة اربعة آلاف ريال وعشرة آلاف ريال تقدي وكذا اسوج ونروج وهنوفر وبراغ واسبانيا (١) .

(١) اخذت هذه الارقام عن كتاب (تحفة الجزائر في مآثر الامير عبدالقادر ج ١ ص ٨١ .

العلاقات بين فرنسا والجزائر منذ عصر النهضة

كانت فرنسا احفل دول اوروبا بأذى اقرصنة فكان خليقاً بها ان تكون اكثر دول اوروبا اهتماماً بقضايا القرصنة .

ومن ثم اتعل العداء بين الفرنسيين والجزائريين طوال القرن السابع عشر وتكررت حوادث الاعتداء من الفريقين ، وتوات حوادث ذبح الجزائريين في مرسيليا وذبح الفرنسيين في الجزائر وأهين قناصل فرنسا كثيراً ونهبت اموال الجالية الفرنسية وضربت المدافع الفرنسية الجزائر عدة مرات بغير جدوى . وقد حاول الفرنسيون غزو الجزائر سنة ١٦٦٤ فلم يوفقوا في ذلك وعادوا بعد خسائر فادحة ومقتلة عظيمة كما يقول المؤرخون ثم أرسلوا البعثات التبشيرية بالدين المسيحي وغرضهم إثارة اوروبا المسيحية على المغرب العربي اذا ما اصاب هذه البعثات التبشيرية اذى من مسلمي المغرب او الحقت بكنائسهم الاضرار وقد وفقت هذه البعثات بعض التوفيق في مهمتها لكثرة ما اغدق عليها كبير وزير فرنسا في عهد لويس الرابع عشر من نعم وعناية لاسيما عندما اسندت الي قسوسهم وظائف القناصل فأصبح ممثل فرنسا ممثل المسيحية في ارض المسلمين .

ولكن الجزائر في هذه ما كانت تهم كثيراً لهذا حيث كانت في حالة حسنة من الرخاء ، وقد اتسعت رقعتها حتى شملت تونس نفسها سنة ١٦٨١ وكانت تنقطع الصلات بينها وبين الدولة العثمانية وهذا ما ساعد على رفاهها المادي والمعنوي حتى أصبح داي الجزائر شبه مستقل في امور دولته او ايلاته .

ولو اعد امراء الجزائر بلدهم اعداداً عسكرياً صحيحاً دون الاعتماد على الدولة العلية لدفعوا عنهم جشع الاستعمار الفرنسي خاصة والاروروبي عامة ، وكان عليهم ان يقلدوا جيرانهم الاوروبيين في نهضتهم التي بدأت تتألق في ذلك الوقت يساعدهم على الدفاع عن اراضيهم استعدادهم الحربي الذاتي وقدرتهم على ركوب البحر وتخطي الاخطار .

ومما يؤسف له انه منذ اوائل القرن الثامن عشر بدأت بوادر الانهيار تلمع في آفاق المغرب العربي .

اخذ ايراد الدولة من القراصنة يقل بتقدم الملاحه الاوربية وحسن تجهيزات واحتياطات السفن فلم يزد دخل الدولة من هذا الباب على مائة الف فرنك ذهباً وبالتالي بدأت حكومة الجزائر تهمل الاسطول لما قلت وارداته مع انه كان يحتاج الى عناية مضاعفة لمواجهة لاطار التي تهدد الجزائر والتي تحدثنا عنها .

وفي اواخر القرن الثامن عشر اجتاحت الاوبئة الجزائر رغم وفرة الاطباء الافرنسيين العارفين بالادوية لهذه الامراض ولكن البدايات ما كانوا شاعرين بواجبهم تجاه الصحة العامة ففتكت

الابوثة بالناس وقل المتطوعون الى جيوش الجزائر لان الاندلسيين المسلمين المحاصرين في اسبانيا والذين كانوا يتطوعون جنوداً للقتال بعد تخليصهم قد نضبوا ، ولم يفكر الدايات في اسلوب يعوض هذا العدد حتى هبط الجيش الجزائري الي ستة آلاف جندي فقط . وانتشرت المتاجر الفرنسية وتزايدت ارباحها وضمت فرنسا شركاها هذه حتى تمكن الفرنسيون من احتكار القمح في الجزائر وتصديره وبدأوا يتصرفون بالاسعار والاسواق كما يشاؤون فيستغلون اموال واقوات الشعب الجزائري .

وانقضى عهد الدايات الاقوياء واخذ يتولى الامر رجال ضعاف وادرك الدولة كلها فتور فلم يعد للديوان حول وقوة ومال الوزراء الى الراحة وترك الامر للداي فثقل عليه فسلمه للجنود ففسد ، كل هذا في اواخر القرن الثامن عشر عصر النهوض والقوة بالنسبة للدولة الاوروبية عصر الاخطار والاهوال بالنسبة للدول الاستعمارية فليس على قبائل الجزائر من حرج في مثل هذه الحال اذا هي ثارت على حكومتها وخلعت سلطانها .

وليس على الاسبان من حرج اذا هم حاولوا فتح الجزائر من جديد فهاجموا الساحل وخربوا وهران .

وليس على فرنسا من حرج اذا هي استوردت قمح الجزائر ولم تدفع قيمته .

ومن الغريب ان الداي بعد كل هذا يركب رأسه حمقاً

عندما عقد مؤتمر (اكس لاشايل) لاتخاذ التدابير الفعالة للقضاء على القرصنة وعندما انتدب اميرالان افرنسي وانكليزي لمفاوضته في كف يد رعيته عن الاذى فيستقبل المفاوضين صلفاً ويحدثهم حديث الأمر الناهي مهدداً ومتوعداً فيرسل الانكليز والهولانديون حملة انتاذيب المعصاة الجزائريين سنة ١٨١٦ فتصاب الجزائر في كثير من الاذى نتيجة صلف الداي وكبريائه ! وبينما كان محمد علي باشا في مصر يحسن سياسته مع دول اوروبا ويكسب عطفها بواسطة قناصلها رغم حدائته في الحكم نرى الداي حسين يستبد غشوماً ويسخر من قناصل الدول واعجب من ذلك جوابه الى رسول محمد علي باشا الذي جاء يعرض وساطته لحل النزاع بين الداي وفرنسا وينصح الداي بتحسين سلوكه مع فرنسا ويحذر العاقبة ، لقد كان جواب الداي للرسول :

(بلغه سلامي وقل له يأ كل الفول محمد علي رجل مسكين لا يفهم الامور ولا يقدرها حق قدرها .)

لقد كانت سياسة الداي حسين باشا سبباً في انعدام الرجاء في الصلح بين فرنسا والجزائر او بين الدول الاوروبية عامة والجزائر وربما احتملت كل الدول الاوروبية عجرفة وصلف الداي الا فرنسا « الثائرة » آتت فقد عزت عليها ذلك .

وربما كانت فرنسا ترغب باحتلال الجزائر قبل الوقت الذي وقع فيه الاحتلال كما يلاحظ من مساومة محمد علي باشا والي مصر على فتح الجزائر باسم فرنسا على ان تمده بالعماد الحربي والمال ولكن

محمد علي اشتط في الطلب فأراد مبلغاً كبيراً من المال واربعة سفن
كبيرة من ذوات الثمانين مدفعا .

ولكن الحقيقة فان محمد علي كان يخشى غضب انكلترا من
هذه الحملة رغم رغبة صديقه بوليناك الوزير الفرنسي بذلك .

• • •

وفي ١٢ تموز سنة ١٨٢٤ هاجم الاسطول الانكليزي وحده
الساحل الجزائري واستمرت الحرب /١٧/ يوماً انسحب بعدها
الماندون دون أن ينالوا من حصون الجزائر أو يلحقوا بها ضرراً .



ملاحظات حول الجزائر وهي تحت الحكم العثماني

لقد كان اتصال الجزائر بالدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر اتصالاً روحياً أكثر من أي شيء آخر لأن الخلافة كانت في ذلك العهد تتطلب وحدة المسلمين في كل الاقطار ولأن الخليفة العثماني آنئذ يمثل قوة التوجيه التي حمل امانتها خلفاء محمد منذ ابي بكر وفي هذا الصدد كتب البارون (دي سان دينيز) عن الجزائر يقول .

« .. ان حق السيادة قد افلت من يد سلاطين آل عثمان لينتقل بحملته الى ايدي الدايات وهذه الثورة شبيهة بتلك التي تخلص بها الامراء الالمان من ولايتهم وخضوعهم لسلطان اباطرة الدولة الجرمانية . » ويقول البارون ان الدايات كانوا يمارسون سلطانهم كسادة للجزائر ولا يقبلون اي ارتباط سياسي بين بلادهم والباب العالي فقد كانوا يعلنون الحروب ويعقدون الصلح دون الرجوع الى القسطنطينية .

ومن مظاهر السيادة الجزائرية واستقلال دولتها علاقاتها الدبلوماسية بكثير من دول اوروبا وامريكا في ذلك الوقت .

فقد وصلت اول بعثة دبلوماسية فرنسية الى العاصمة الجزائرية خلال عام ١٥٦٣ وبمقتضى اول معاهدة عقدت بين البلدين

استنجد فرانسو الاول ملك فرنسا مرتين بالدولة الجزائرية خلال عامي ١٥٣٦-١٥٤٣ طالباً من الاسطول الجزائري المعاونة ضد الاسطول الاسباني عن ساحل فرنسا الغربي ، وبقتضى هذه المعاهدة طلب هنري الرابع ملك فرنسا النجدة من الدول الجزائرية عام ١٥٩٣ لتعينه بقواتها البحرية على تحرير مدينة مرسيليا وشاطئ فرنسا الجنوبي من الهوغنوت والاسبان .

وبلغت ديون فرنسا للخزينة الجزائرية في اواخر القرن الثامن عشر رقماً خيالياً بالنسبة للقيمة النقدية في ذلك العصر اذ تجاوزت ٢٤ / مليون من الفرنكات الذهبية اي نحو عشرة ملايين ليرة سورية استدانها فرنسا عيناً وبضائع وموارد اولية .

وعقدت الجزائر معاهدات مع انكلترا وهولندا والدانمارك والبندقية وكانت الجزائر في طليعه الدول التي اعترفت بالولايات المتحدة الامريكية سنة ١٧٧٦ وعقدت معها معاهدة صداقة عام ١٧٩٥ بناء على توصية مجلس الشيوخ الامريكي ولكن الولايات المتحدة لا تفي بهذا الدين الذي في عنقها وتعترف للجزائر بحقوقها في الحرية والاستقلال الان وتنفذ ما بينها من معاهد صداقة ! لقد كانت الجزائر قبل العدوان الفرنسي دولة مستقلة ذات سيادة مطلقة النفوذ في حكم نفسها حرة في ادارة سياستها الداخلية والخارجية وتكثيف قواتها العسكرية ونطاقها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي .

• • •

فرنسا قبيل فتح الجزائر

نادت فرنسا بالحرية والمساواة والاخاء عندما اعلنت ثورتها على الظلم والملكية المستبدية ، وأقامت الجمهورية على هذه الدعائم الثلاث وافرجت عن الوف البرياء الذين قضوا سنينهم الطويلة في السجون وقضت على الطبقات وقررت ان بني الانسان من طينة واحدة وان الانسان اخو الانسان لا فضل لواحد على الاخر الا بما يؤديه من خدمات نحو وطنه .

وصدرت هذه المبادئ الى البلاد المجاورة بالخطابات والرسائل والكتب والقصائد الشعرية .

ولكنها سرعان ما داست هذه المبادئ مع الشعوب الحرة المستقلة عندما قام ابن الثورة نابوليون بحقق الامبراطورية الفرنسية الكبرى ، ومهما كانت الاعذار بعدئذ في اخضاع المغرب العربي بحكم مبادئ الثورة الرفيعة التي نادى بها الشعب التونسي فان هذه الاعذار واهيه وتلك المبادئ رمزية بعد ان حاولت فرنسا احتلال اوروبا واخضاعها لقوتها . وبعد وقوفها الى جانب الدول المستعمرة الكبرى منذ مطلع القرن التاسع عشر .

وقد استهل الاستعمار الفرنسي اعماله الاستعمارية الجديدة

بعد ثورته التحريرية الكبرى وبعد اضاعته كندا والهند استهل هذه
المعركة الاستعمارية بفتح الجزائر .

وفي الواقع ما كانت مبادئ الثورة الفرنسية بضاعة للتصدير
وانما هي للاستهلاك المحلي لانها بضاعة غالية الكلفة ولان تصديرها
يفقد الشعب الفرنسي مكانته في اوروبا ومجده العسكري ومركزه
الرفيع بين الدول العظمى المستعمرة . وحتى في فرنسا اصبحت
بضاعة حرية ومساواة واخاء مفقودة من السوق السياسي بعد فترة
قصيرة من عهد الثورة ان لم نقل ايام الثورة الفرنسية ذاتها .

ولقد زاد احساس شارل العاشر اخي لويس الثامن عشر
الذي عاد في عربات الجيوش المحتلة الى بلاده بعد معركة واترلو
خاتمة معارك الحروب النابوليونية ، زاد احساس شارل العاشر
واحساس وزيره بولينياك بانصراف الفرنسيين عنها وسأمهم حكمها
وتحدثهم بانثورة على الملكية الضعيفة التي تحميها .

ورأى الوزير ضرورة عمل شيء يرفع من قدر حكومته في
نظر الشعب الفرنسي ويشغله عن نقد اعمال الحكومة من جهة اخرى
ففكر في فتح خارجي لان الشعب الفرنسي لا يزال مفتوناً بالحروب
والغزوات تملكه اخبارها وبأسر قلبه مجدها وفخارها ، وتخير
الرئيس رالمك الجزائر مسرحاً لتمثيليتهم هذه .

وفي فتح الجزائر انتقام لما اصاب الفرنسيين من اذى على يد
الجزائريين وشفاء لغريزة دينية مكبوتة في قلوب الغاليين وارواء

لتحرق وزير الحربية بارمون الذي يلح بطلب ترأس حمله الى هذه المنطقة لتحقيق احلامه بفتحها فبات الوزير والملك يتحينان الفرصة لذلك .

ولكن شارل العاشر لم يوفق ادبياً في هذه الحملة فكان سيء الاختيار للمناسبة التي بدأ فيها الفتح وكان سيء الاختيار للقادة الذين ندهم لهذا العمل وكان سيء التقدير حين حسب ان ذلك يقلل ملكيته من عثرتها .

ولم يخطئ المؤرخ الاسباني (جوليان) عندما قال : «... ان الفتح الفرنسي لمغرب العربي كان عملاً مضطرباً دبره تجار جزائريون يهود بالاشتراك مع سياسيين مفسدين في باريس ، وكان - اي الفتح - حادثاً اثاره سياسي متهم في ضميره ، وكانت حملة قادها قائد سيء السمعة قيادة خاطئة وكان نصراً تلقاه الرأي العام بعدم الاكتراث لما كلف الامة من ضحايا واموال ، وابعقه سقوط الاسرة المالكة التي طلبت فخره لبقائها .

تلك كانت المقدمات التي مهدت للفتح الفرنسي في الجزائر .



الحالة الاقتصادية في الجزائر قبل الاحتلال

كانت الحالة الاقتصادية قبيل الاحتلال في الجزائر مزدهرة وكانت الجزائر تحتل مكاناً في الحوض الأبيض المتوسط خاصة وفي المحيط الدولي عامة لخصوبة الأرض وتنوع المحاصيل ووفرة الانتاج الى جانب جهاز صناعي عظيم وتجارة بحرية لا بأس بها وكانت الحبوب من أهم انواع الغلال وكانت تربية الأغنام منتشرة انتشاراً كبيراً لوفرة المراعي وكانت الصناعة الريفية راقية من منسوجات صوفية وحريرية ومصنوعات جلدية ونحاسية واسلحة . وكانت سفنهم تبحر البحار الى أكثر موانئ المتوسط وغيره وقد استفاد اليهود من عمليات التصدير والاستيراد .

هذا النشاط التجاري والصناعي والزراعي انشغال أوروبا بالحروب والثورات وطلبها المزيد من الانتاج من البلاد المجاورة وارهاق الاسعار حسب قاعدة العرض والطلب .

الاسباب المباشرة والبعيدة لفتح الجزائر

ان الاسباب المباشرة للفتح هي القضية المعروفة بديوت اليهودين « يعقوب كوهين باكرى » و « ميخائيل الي زناك » او « ميشال اليوشتاق » .

ولا توصف هذه القضية الا بانها مؤامرة سيئة دبرها هذان اليهوديان بالاشتراك مع نفر من كبار الساسة الفرنسيين لسرقة داي الجزائر وحكومة فرنسا على السواء .

ومن دراسة تفاصيل هذه القضية ترى ان السياسيين الفرنسيين كانوا يريدون اختلاس بضعة ملايين من حاكم شرقي فاذا طالب بها اعتبر مسيئاً خارجاً عن حدود اللياقة مع دولة عظمى مثل فرنسا . ويؤكد لنا هذه المؤامرة ما بلغ بالوزراء الفرنسيين من استخفافهم بداي الجزائر واحراجهم اياه بتعيينهم للقنصلية الفرنسية هناك رجلا متهماً في خلقه وفي امانته ، وعبثاً حاول السداي الاحتجاج على هذا التعمين وعبثاً حذر فرنسا من نتائج بقاءه حتى اتمى الامر مع هذا الممثل الى ايقاع الحرب بين الدولتين .

ونستعرض الان كيف تمت صفقة اليهودين بين الداي

وحكومة الثورة الفرنسية :

في السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر سنة ١٧٩٢ احتاجت الحكومة الفرنسية الى القمح لتموين حملتي ايطاليا ومصر فتعهد بتقديم الحبوب هذان التاجران اليهوديان اللذان مر ذكرهما وكان الداي قد فوضهما بتجارته الخارجية فمضيا يوردان القمح الى فرنسا سنوات عديدة ولا يعطيان الداي شيئا من القيمة ، وكان لهما شبه اتفاق مع تاليران وزير خارجية فرنسا اذ ذلك على اقسام ما يأخذونه من الحكومة الفرنسية ثمنا لهذا القمح مناصفة دون ان يكون للداي صاحب الحق الاول نصيب .

وكان اليهوديان يضيفان للداي على المبالغ ارباحاً وهمية ويتراخيان في مطالبة الحكومة الفرنسية حتى تزداد القضية تعقيداً، وتعهد تاليران بالدفاع عنها فكان يوصي وزير المالية الفرنسية بان لا يعتبر هذه المسألة مسألة شخصية مع الداي وسماسته وانما يعتبرها مسألة حكومية ، وتناول بهذا تاليران اربعة ملايين من الفرنكات ليدفعها لصاحب الحق وبعد مدة طويلة طالب التاجران اليهوديان الحكومة الفرنسية بمبلغ اربعة وعشرون مليوناً وهي المبالغ المستحقة في ذمة الخزينة الفرنسية مع الفوائد وحقت فرنسا في المبالغ فقدرتها بسبعة ملايين فقط وعندئذ اقامت الحكومة الفرنسية « ديفال » السيء السمعة قنصلاً لدى حكومة الداي ، فأيقن حسين باشا وهو لهذا الرجل ان ماله قد ضاع بين تسويق الحكومة الفرنسية وممالة تاليران وتأثير اليهوديين وخطوة مندوبه في باريس السيد نيقولا بليفيل Nicolas Pleville وتحمدي ديفال .

وتأكدت مخاوفه حين اعترفت فرنسا بحقوق اليهوديين ولم تعترف له بحقوقه ، ولاحظت غرفة تجارة مرسيليا بأن ديفال يتواطأ مع كوهين للعبث بمصالح فرنسا والجزائر فرفضت التعامل مع ديفال وازدادت شكوى الداي من ديفال ايضاً وكتب الى حكومة فرنسا سنة ١٨٢٦ بأنه لم يعد يحتمل بقاء هذا الدساس ورجا فرنسا ان تستبدل به رجلاً شهما وكشف الداي مؤامرة تواطأ بها ديفال مع بليفيل مع كوهين على ان يأخذ كل من ديفال وبليفيل من كوهين مليوني فرنك اذا ساعدها على استحصال الملايين السبعة المتجمدة له باسمه من الحكومة الفرنسية . وزاد غضب الداي من مساعدة حكومة فرنسا لتجار مرسيليا واقتطاع ما المرسيليين من ديون على التجار الجزائريين من هذا المبلغ ايضاً فطالب ان يدفع له المبلغ دون حسم وان يحاكم التجار الفرنسيون مع التجار الجزائريين امام محكمة جزائرية لفرنسية .

• • •

وكان يوم ٢٧ نيسان عام ١٨٢٩ يوافق ليلة عيد الفطر فذهب ديفال قنصل فرنسا في الجزائر الى قصر الداي ليقدم فروض التهاني فسأله الداي عن اسباب تأخر جواب شارل العاشر ملك فرنسا على كتابه حول الديون المستحقة ؟ فقال القنصل في صلف وكبرياء ان مليكه لا يتنازل الى حد الرد على داي الجزائر فثارت ثائرة الداي وكانت في يده مروحة فلطم بها وجه القنصل وصرخ به ان اخرج من القاعة .

وفي الحقيقة فإن الامر ليس بهذه الخطورة التي تستحق من اجله الجزائر نحو استقلالها بعد ان تأكد للرأي العام ان ديفال استفز رأي الداي بوقاحة غير لائقة ، وقد لبث الداي اياماً يؤكد بان المسألة شخصية لا دخل للحكومة الفرنسية بها .

ولكن فرنسا اعتبرت حادثة ٢٧ نيسان كافياً لتبرير غزو الجزائر واحتلالها .

وبدأت حكومة مارتنيك العمل : فقررت محاصرة الجزائر وعلى اثر هذا الاعتداء واهانة شرف فرنسا الممثل باهانة قنصلها وحاصرتها حصاراً طويلاً كلفها مالا كثيراً ولم بعد بفائدة فرفعت فرنسا الحصار وعادت تطلب ترضية فقط عن الحادث فأبى الداي ذلك معتقداً ان رفع الحصار ناتج عن عجز فرنسا عن فتح الجزائر وزاد على ذلك ان ضرب السفينة بروفانس التي كانت تحمل الرسول المفاوض بعروض الترضية دون الحرب ، عندئذ استقر رأي بولينياك « رئيس الوزارة الجديدة » على فتح الجزائر ، ولما قدمه وزير حربيته بورمون Bourmont من محسنات حيث رجا ان تكون قيادة الحملة له .

وما كانت فرنسا تحصى كثيراً - في هذه الفترة - اعتراض الدول الاوروبية على هذا الفتح حتى ان انكارتا - الخصم التقليدي - بدا عليها انها تفضل وجود فرنسا على الشاطئ الافريقي من الداي الجزائري الذي اقلقتها قراصنته .

وظهرت المقاومة الفعلية من الشعب الفرنسي الذي ما اراد

الحروب بعد ان بلا انواعها وذاق مرارة النصر والفشل وعلم ان
الحرب خسارة في الحالين . وزاده شكاً بنتائجها اعتماد وزارة
بوليناك على القائد بورمون لهذه الحملة القائد الذي يحمله الشعب
الفرنسي مسئولية هزيمة واترلو ويتهانه بخيانة نابوليون .

• • •

وقبل ان نخوض في تفاصيل هذا الغزو الهمجى نلقي نظرة
سريعة على اقوال المؤرخين فيه لنخرج بدراسة الاسباب البعيدة
لهذا الفتح الاستعماري الغاشم .

يقول « السير روى دفر كسيس » في كتابه (مظاهرة الجزائر)
« ... وانه من وجهة النظر الاخلاقية لا يستطيع المرء بحال من
الاحوال ان يبرر اعتداء امة متمدنة على وطن غيرها . » وقال
مترنيخ السياسي النمساوي الكبير ساخراً .

« ... أمن اجل ضربة مروحة تنفق فرنسا مائة مليون فرنكا
ذهباً وتخطط بأرواح أربعين ألفاً من زهرة شبابها . »

والحقيقة ان هناك دوافع اخرى حملت فرنسا على احتلال
الجزائر هي :

١- المطامع الاقتصادية :

فن المعروف ان جميع المشروعات الاقتصادية تقوم على اساس
تجارية ترمي الى استنزاف خيرات البلاد المحتلة وتملك موارد الرزق

فيها واحتكار اسواقها وتسخير انائها لمصلحة الغزاة المستعمرين وادق تصوير لهذه الفكرة الشكوى التي يرفعها حكام البلاد الوطنيين من تدخل الشركات الاجنبية دائماً في الامور الداخلية لبلادهم . وفرنسا خلال التسابق الاستعماري كانت اكثر الدول الاوروبية راغبة في الاستعمار وبحثاً عن الاسواق لتصريف منتجاتها . والتوسع وبسط النفوذ وامتلاك المواد الاولية ، ولفقدانها كندا والهند وضياع مصر من يدها آنذاك .

وجاء في كتاب « بداية امبراطورية » للكاتب اسكير (ان وكيل العلاقات التجارية الفرنسية في المانيا كتب الى حكومته يوصي باحتلال الجزائر قائلاً : (ان الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية اجسدى وانفع لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الان . فهناك سهول طيبة ذات خصب عجيب ومناجم غنية بالحديد والرصاص وجبال من الاملاح المعدنية كلها تنتظر الايدي التي تستغلها .) وطبقة النبلاء التي اذهبت الثورة اراضيها كانت بحاجة الى اماكن جديدة لتوظيف اموالها فكانوا من العناصر التي دفعت الحكومة الفرنسية للغزو ليفتحوا اسواقاً لاموالهم .

اما المواد الخامية فيكفي ان نذكر ان ثمن فروق اسعار القطن التي ذكرها كتاب « المسألة الجزائرية » بين لندن وباريس كان كافياً للبحث عن مواد اولية حيث بيع القطن في لندن / ٢٣٠ /

فرنكا وبيع في باريس ١٦٤٠ فرنكا آنذاك .

ب- الدوافع السياسية :

طلع فجر القرن التاسع عشر وفرنسا مطرودة - كما ذكرنا - من كندا في امريكا ومن الهند في آسيا ومن مصر في افريقيا بعد ان توالى عليها الهزائم في اوروبا في اواخر عهد نابوليون فأخذت احلامها تنهار وبدأت تفكر من جديد باستعادة مكانتها الى جانب انكلترا وهولاندا .

وراودها الحلم بالاعتداء على الجزائر لا سيما بعد ان خلا العرب من آساده بارتحال البحارة المجاهدين من اهلها مع الاسطول التركي المصري الى حرب الموره سنة ١٨٢٧ عندما اتفقت اساطيل الانكليز والفرنسيين والروس القضاء على اساطيل المسلمين في موقعة نافارين وهي اساطيل مصر والجزائر وتركيا وخسرت بعد هذه المعركة الجزائر كثيراً من السفن والابطال فسهل القضاء عليها بعد ان تحطم اسطولها حتى كانت قضية القنصل التي تذرعت بها فرصة وحجة لفتح الجزائر المجردة من الاسطول الحربي لقرب الموقعتين وقد كشف هذه المؤامرة المؤرخ الفرنسي الكبير (هنري غارو) في كتابه (تاريخ الجزائر) الذي قرظه المجمع العلمي بقوله « ان حكومة باريس كانت قد وطئت العزم على وضع حد لتسلط الاسطول الجزائري على غرب المتوسط فأنهزت فرصة غياب اكبر السفن الحربية الجزائرية في المياه البونانية لتجد دعوى تبرر بها

اعلان الحرب على الجزائر— فأرسلت تعليماتها الى قنصلها لدى
حكومة الداي ليغتنم الفرصة ويثير اسباب النزاع .. فكانت
حادثة المروحة ..

وكذا حاولت فرنسا ان تشغل الرأي العام الفرنسي عن
المطالبة بالحريات المغلولة والمطالبة باطلاق حرية الصحافة واطلاق
سراح الاحرار والجمهوريين في السجون فأجذت الحرب سبباً لكل
هذا ومبرراً .

وقد زين الساسة الاوروبيون لفرنسا في مؤتمر فينا وبعدها
فقدته من مجد ، على اثر الهزائم التي اصابها في حروبها الامريكية
والاسيوية القيام بحملة على الجزائر ليحولوا بذلك دون نزوع
الفرنسيين الى التوسع في اوروبا وقد اتخذ هذا القرار بالاجماع ما
عدا بريطانيا !

وكان قواد فرنسا يريدون ذلك لكي لا يقال ان الفتوحات
كانت لوجود قائدهم الاعلى نابوليون ، وانما كما يقولون هم كانوا
يصنعون هذا المجد لفرنسا وسيضعونه من جديد فلتكن الجزائر
مسرّحاً جديداً لعمليات نصرهم ومجدهم .

ج - الدوافع الدينية :

وما سها المؤرخون عن ان فرنسا بنت الكنيسة الكاثوليكية
المفضلة كانت تريد احتلال الجزائر ليؤول اليها ما كان لروما القديمة
من سلطان ومجد في افريقيا على الاقل ولهذا تعهدت بنشر المسيحية

في افريقيا وقد اثبت ذلك التقرير الذي رفعه وزير حربية فرنسا الى شارل العاشر على اثر حادث المروحة حيث قال فيه — مبرراً ضرورة احتلال الجزائر .

« ... أخذاً بشأراً الاهانة التي لحقت بممثل فرنسا وارضاء المسيحيين وذلك بباداة المسلمين أشد اعدائهم طغياناً ! .. » ثم يتابع قوله : «

« مولاي ! انها المشيئة الالهية التي قضت بأن تنادي سليل القديس لويس التاسع ليأخذ بالتأثر وليقتص للدين والانسانية وليغسل عار الاهانة التي لحقت به هو بالذات ، وستعود الحملة بالخير العميم لا على فرنسا فحسب بل على اوروبا بأسرها ، ولسنا بحاجة الى اقتناع جديد بأنه لا استقرار الامن في الجزائر الا بباداة اهلها عن بكرة أبيهم . »

وكان شارل العاشر قد اقتنع بهذا الفتح الصليبي فخاطب مجلس الشيوخ الفرنسي في خطاب العرش غداة كانون الثاني سنة ١٨٣٠ معللاً اسباب الهجوم قائلاً :

« ... وسترون ايها السادة ان التعويض الضخم الذي ستحصل عليه حكومتي رداً لشرف فرنسا سيؤول لاخواننا المسيحيين » وقال دي بورمون في بيان القاه على جنوده :

«... لقد جئتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعيه
لتدخل المسيحية افريقيا واننا لنأمل ان تعم هذه الربوع
قريباً لتعمل من جديد على ازدهار المدينة التي انطلقاً
مصباحها منذ عدة قرون !...»



احتلال الجزائر

غادرت الحملة الفرنسية ثغر طولون في ٢٥ مايس سنة ١٨٣٠ ونزلت بعد ثلاثة اسابيع في شبه جزيرة (سيدي فريخ) على مسيرة ٢٤ / كيلومتراً من العاصمة وفق خطة وضع تفاصيلها ضابط في سلاح الهندسة العسكرية سبق ان جاء الى الجزائر للتجسس ودراسة اغوار البحر عند هذه النقطة التي كانت قليلة الحصانة لبعدها عنها وبين العاصمة التي كانت قبل الغزاة في كل محاولة سابقة ، وكانت حصانة العاصمة هي السبب الذي حمل الفرنسيين على ان يبحثوا عن مكان آخر قليل التحصين لتنزل فيه قواتهم البرية .

وفي جزيرة سيدي فريخ التحمت القوات المعتدية بالقوات المدافعة وقد ظلت الحرب بعد ذلك مشتتة بين الفرنسيين واهل الجزائر زهاء ثلاثة ارباع القرن او اكثر من ذلك دون ان يتحرك قطار عربي او تحف دولة اسلامية لمساعدة الجزائر الشهيدة وسرعان ما عمت شرور الاستعمار العالم العربي والاسلامي بعد هذا التقاعس المخجل . ولا تزال الدول العربية رغم الدروس الكثيرة تبرز هذه الظاهرة المؤلمة - عدم الانتفاض اللاحقة بالقطر الآخر حتى

يفتقر الاستعمار الدولة العربية دولة دولة .

وفي الواقع فإن حكومة داي الجزائر ما كانت تتوقع ان تأتيا الضربة من هذا المأمن وان تنازلها القوات المعتدية في البر ولهذا كان اهتمامها - في الفترة الاخيرة - منصبا على تقوية اسطولها والعناية بقوتها البحرية ولم يكن لها من الجيوش البريه سوى فرقة واحدة عددها / ١٥ / الف مقاتل . ولهذا لم يلق الفرنسيون مقاومة تذكر عندما نزلو الى البر . وكان هدفهم الاول بعد ذلك احتلال العاصمة التي لم تلبث ان سقطت تحت وطأة اسلحتهم الحديثة في ٥ تموز سنة ١٨٣٠ اي بعد ٢٢ يوماً من نزولهم الى البر الجزائري قطعوا في اثنائها ٢٤ كيلومتراً .

وتوالت انذارات القائد الفرنسي في اثناء حصار العاصمة وادرك الادي عدم جدوى المقاومة فرأى حقناً للدماء توقيع الاتفاقية التي عرضها القائد الفرنسي دولورمون وتقضي بتسليم جميع الحصون الجزائرية ومرسی العاصمة وان يكفل القائد الفرنسي لداي الجزائر الحرية ويترك له ثروته الخاصة .

كما يترك له حرية السفر مع افراد أسرته الى اي مكان يختاره في حماية القائد العام وتقوم على حراسته كتيبة فرنسية مده اقامته في الوطن الجزائري .

وقد نصت الاتفاقية كذلك على ان حرية القيام بالشعائر الدينية الاسلامية مكفولة للجميع فلا اعتداء على المساجد ولا انتهاك

لحرمات المنازل ولا تعرض لمعيش السكان ، وهكذا تم لفرنسا ما ارادت فدخلت جيوشها عاصمة الجزائر وتوارت اعلام الدولة الجزائرية من الابراج والحصون ودور الحكومة وبدأت ترفرف الاعلام المثلثة الالوان اعلام الحرية والمساواة والاخاء ...

وقد استولى الفرنسيون حسب تقديرات المؤرخين الفرنسيين من خزانة دولة الجزائر - كما كان يتوقع ممثل فرنسا التجاري في المانيا - على /١٥٠/ مليون فرنكاً ذهباً اي اكثر من /٦٠/ مليون ليرة سورية ولكن لم يصل الى العاصمة الفرنسية من هذه المبالغ سوى /٤٨/ مليون فقط حيث نهبتها الخاشية التي كانت تعمل مع تاليران وبورمون لتحقيق هذا الاحتلال عدا عن التي مدفع وكميات كبيرة من المؤن والصوف وبذلك يمكن ان يقال ان الارباح غطت النفقات في هذه الحملة وربحت اكثر من /١٢/ مليون عدا عن الظفر العسكري والسياسي .

لقد كانت قوى دوبورمون لا تزيد عن /٣٧/ الف مقاتل وتمكن بورمون مع ذلك من افتتاح وهران ويونه ولكنه عجز عن الاستيلاء على البلدة وبعد ذلك بقليل تسامع قواد الحملة بشورة تموز سنة ١٨٣٠ التي اسقطت حكومة شارل العاشر فوقفت العمليات الحربية وفكر فريق من الضباط بالزحف على فرنسا كما فعل نابوليون قبلاً - لانقاذها ولكنهم عدلوا .

ولم تلبث الحكومة الجديدة ان عزلت بورمون وولت

مكانه للقيادة كلوزل (Clauzol) في ٢ ايلول سنة ١٨٣٠ ،
وقد لقي بورمون اهانة كبرى حين عزل ابى قائد الاسطول
دوبيريه Duperé ان يسمح له بالسفر على احدى سفنه فأضطّر
المسكين الى استئجار سفينة نمساوية نقلته الى اسبانيا ومنها الى
فرنسا .

ولم يوفق كلوزل في عمله فأستبدل في شباط ١٨٣١
بضابط آخر وكان مسناً صرفه همه الى تهياة بعوث وسرايا صغيرة ،
فشبت الثورات الجزائرية في كل مكان وخرجت كثير من المدن التي
طاعت للفرنسيين عليهم فطلب القائد النقل فأجيب الى طلبه وخلفه
قائد آخر اسمه سافاري فأشتمد على الاهلين شدة بلغت به الى اباداة
قبائل بأسرها وفي عهد خلفه تم فتح الساحل حتى مستغانم .

وفي ٢٧ تموز ١٨٣٤ ارسلت حكومة الجزائر اول حاكم
عام للجزائر وكانت حركة الامير عبدالقادر في طريقها الى الظهور .



اسباب سقوط الجزائر

١ - واضح جداً هو ان اقوى اسباب سقوط الجزائر عدم وجود حكومة بالمانى الذي يفهم من هذا اللفظ ، لقد كان بها حاكم يستعين في تصريف الامور بطائفة من الاعوان والوزراء ويشرف على نفر من الجند في البر والبحر وهذا ما قلل احترام الدول لداي الجزائر وجعل الدول ترضي عن عمل فرنسا لعدم تمكن الداي من ردع المعتدين - رغم المعاهدات - من الاعتداء على السفن الاوروبية حتى حسبت بعض الدول بأن الداي رئيس عصاة تدفع له الدول الاتاوات لتأمين شره .

٢ - كان لمنح المغرب الامتيازات الى الاوروبيين في صيد المرجان (بينما كان في امكان الجزائر صيده والكسب منه) الاثر الكبير للتدخل الاوروبي .

٣ - ان اسلوب الحكم العثماني الاداري انتهى بالجزائر الى ما انتهى به في العالم العربي الى الفساد والقوضى فأبعد اهل البلاد الاصليين عن نواحي الحكم والادارة والدفاع واقتصر على طائفة خاصة من الناس وهذا ما سهّل على الفاتح شراء ضمائر الناس بالرشوة

او التهديد .

٤- كان المغرب اقرب الى اوروبا في فجر نهضتها الجبارة
وكان يتطلب من المغرب ان يجاري اوروبا في هذه النهضة لا ان
يحافظ على جموده ، لاسيما وان قسماً كبيراً من اوروبا كانت تدفع
الاتاوات اسلحة ومواد خامية وبقاؤه على القديم والافكار البالية
سهل على الفرنسيين عزوهم .

٥- يضاف الى هذا ان قادة الرأي مما اتصفوا بالكمياسة
واللباقة وحسن الادارة فقد كان على داي الجزائر ان يباشر علاقاته
مع فرنسا دون وساطة اليهوديين ، وكان في استطاعة الداي ان
يكون احسن تصرفاً في معاملته الرسول المفاوض الفرنسي ظناً منه
ان ذلك سيرغم فرنسا على احترامه وتقديره والنزول عند رأيه .



الجزائر تحت الحكم الفرنسي

كثرت هجرة الفرنسيين الى المستعمرة الجديدة - الجزائر - بعد عام ١٨٣٤ وحسب الفرنسيون انها تكفي لفيض السكان ولاشباع جوع الفرنسيين ولارواء مصانعهم بالمعادن والمواد الخام فتهجوا سياسة ابداعية في هذا القطر ليست على نمط السياسة التي سارت عليها بريطانيا في مستعمراتها ولا على النمط الذي سارت عليه فرنسا نفسها في مستعمراتها السابقة مثل كندا والهند وانما هي فلسفة استعمارية جديدة نتجت عن ضياع آمال فرنسا بالاستعزاز وعن نشوة ظفر الفتح في الجزائر فجاءت على شكل نظام استغلالي خرصت فرنسا فيه على فرنسة الجزائر بما في هذه الكلمة من معنى ومن هنا شق الامر على الجزائر ومن هنا عز على الجزائر ان تتخلص من نير الاستعمار الفرنسي رغم كل الثورات التحريرية التي قامت ورغم كل الاضاحي التي قدمها الشعب الجزائري .

وفي الصفحات التالية سنرى نمطاً من الامس التي سار عليها الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

آ- السياسة العقارية والزراعية وطريقة انتزاع الاراضي :

عرفت الزراعة طريقها الى القطر الجزائري في القرن الثاني قبل الميلاد ولكن القبائل الرحل احتفظت بطابع الملكية الجماعية في الاراضي والمماشية على السواء بعد ان نزع اهل قرطاجنة الذين احتلوا الجزائر اراضي السكان الاصليين .

وكذلك فعل الرومان من بعد فأستولوا على الاراضي وقاموا بزراعتها لمصلحة الاشراف والقادة العظام .

وفي القرن السابع للميلاد أتم العرب فتح الجزائر فأعادوا اليها نظام الملكية الجماعية والفردية ، ثم جاء الترك العثمانيون في القرن السادس عشر فانتزعوا الارض من اصحابها الشرعيين بحجة سداد ما عليها من عوائد ثم تقاسمها السلطان مع مواليه الذين كانوا يحكمون البلاد باسمه !

والذين كانوا يحرصون على بقاء الاراضي في ايام ابنائهم كانوا يقفونها على ذرايعهم كما كان يفعل الاوروبيون في القرون الوسطى اذ يضعون املاكهم تحت اشراف الكنيسة فراراً من دفع الضرائب الباهظة فنظام الوقف الذري هذا ، انتشر في كل بلاد المشرق والمغرب رغم ما فيه من مساوئ حتى تم الغاؤه في سوريا عام ١٩٥٠ . والى جانب نظام الوقف كان في الجزائر نظام آخر من الملكية يدعى نظام العشور تحدث عنه المؤلف الفرنسي (ديمونيتس) في كتابه « الذكرى

المثوية لفتح الجزائر، وهو ان يترك الداى ارض رئيس القبيلة
 النائرة عليه يستغلها فقط دون ان يملكها . ولما احتل الفرنسيون
 الجزائر لم يدم فقهاء الحقوق منهم نظريات وضعوها لتبرير نزع
 ملكية اراضي العشور بالجملة لصالح المستعمرين الفرنسيين الجدد
 القادمين للاستيطان ، وقد لاحظ عدد كبير من فقهاء القانون
 الفرنسيين خطئ هذه النظرية فقالوا انما وضعت لتبرير غرض غير
 شرعي ، وان اراضي العشور ملك شائع بين افراد القبائل لا
 يمكن انتزاعها منهم وانتزاعهم منها ومن هؤلاء الفقهاء : موريس
 واهل ، عمانوئيل بيسون ، لويس فثيون ، اندريه جويان .

والى جانب هذين النظامين كان نظام الملكية الفردية
 قائماً في الجزائر وكانت معظم الاراضي بين ايدي الاقطاعيين ،
 وفيما يلي توزيع الاراضي في الجزائر قبل العدوان الفرنسي .

اراضي عشور جماعية	٥ ملايين هكتار
اراضي تملكها القبائل	٣ »
اراضي في حيازة العرب	١٠٥ »
اراضي اوقاف	٣ »
اراضي يملكها الداى	١٠٥ »
صحراء	٢٣ »

ويقول « ايميه سيزار عن حالة الاراضي بعد دخول
 الفرنسيين ان / ٨٠٠,٠٠٠ / اوروبي يملكون / ٢٠ / مليون هكتار

و / ٩,٠٠٠,٠٠٠ / جزائري يملكون / ٩ / ملايين هكتار وارض
الجزائري قليلة الخصب وارض الفرنسي طيبة حسنة الغلال غالية
الثمن اما كيف حصل الفرنسيون على هذه الملكيات الكبرى
فلنترك الجنرال « برو Bro » يقص في رسالة لاخيه بتاريخ
١٨٣٤ هذه القصة .

« ... وتسألني اين صار الاستعمار اتي اقول حتى الآن
اقتصر على امتلاك الاراضي ؛ اننا نلعب هنا على الارض كما نلعب في
البورصة على اسهم المداخل والمشروبات والبن !. وقد تتعجب
اذا قلت لك ان « بليدا » قد بيعت لالوف المستعمرين قبل ان نفتحها
ونحتلها وهؤلاء المشترون يتلذذون بمشاهدة ممتلكاتهم التي اشتروها
من خلال النظارة المكبرة ! فسهول الميديدجا وهي عبارة عن
بحيرات واسعة تبلغ مساحتها / ٣٠٠ / ميل مربع قد بيعت ايضا .
وقد بيعت ثلاث مرات على الاقل يا عزيزي وسوف تندلع المناوشات
عندما يأتي المشترون للاستلام ! ..) ومع كل هذا فان المادة الخامسة
من اتفاقية التسليم التي وقعها الجنرال بورمون وداي الجزائر تنص
على ان يتعهد القائد العام بعدم المساس بملكية السكان الجزائريين
لما تحت ايديهم من الاراضي ولكنه عهد كبقية عهود فرنسا يحتاج
الى ضمانه !.. »

وبدأت عمليات نزع الملكية وطرد اصحاب الاراضي
الشرعيين منها غداة توقيع الاتفاقية ، فأول مرسوم وقعه القائد

العام كان بمصادرة املاك الاتراك الجزائريين لصالح الدولة الجديدة ثم امر بالاستيلاء على العقارات الموقوفة على المساجد والخيرات فزاد عدد المتسولين عدداً ملحوظاً حيث انقطعت عنهم الخيرات وكتب كريستيان الفرنسي يقول .

« ... لقد تمت غداة توطدت اقدام الفرنسيين في ارض الجزائر عدة صفقات مريبة انتهت الى مصادرت املاك الجزائريين بحجة الأمر على قوات الاحتلال والاعتداء على حرمانهم وسوقهم كالانعام بغير شفقة ولا رحمة ودون ستر عورات نسائهم حيث حشروا بالسفن التي ابجرت بهم الى المنفى وكان كل مالك منهم يحمل في يمينه عقداً بالتنازل عن ارضه اكره على توقيعه وفي يده الاخرى دراهم معدودات بالها كتمويض عن املاكه المصادرة .

وقد جاء في محاضر اللجنة الملكية التي اوفدت الى الجزائر للتحقيق عما ارتكبه جيش الاحتلال وصفاً دقيقاً لهذه العمليات :

« ... في يوم وليلة اصبحت مدينة الجزائر — مسرحاً للصفقات المريبة والغش والتدليس فما كان على الانسان لكي يصبح مالكا الا ان يئى بأخيه ويلصق به تهمة معارضة الاحتلال فيصبح في اليوم التالي مالكا لارضه بقوة الجيش الفرنسي فهل ذهبنا الى هذه البلاد لتوطيد دعائم الحضارة ام لاهراق الحقوق ؟ لقد منح الفرنسيون سندات ملكية لاراض لم يروها بأعينهم ولا يفلحونها ولا يزرعونها بل اصبحوها سادتها .

وبمرسوم (جنتي دي يوسي) الذي صادر كل ارض لم يبرز صاحبها سنداً (مع ان الاراضى هناك كانت تتوارث بالعرف والعادة دون اسناد) صادرت قوى الاحتلال مليوني هكتار بدون مسوغ قانوني . اما الملكية الجماعية قد اعترف القانون لاصحابها بحق الانتفاع دون الملكية ذاتها ، وضمت الدولة اليها :

١- الاملاك العامة حسب القوانين الفرنسية حصون وطرق وارضى لا مالك لها ومباني حكومية وتركات لا ورثة لها .
٢- الاراضى البور وما سبق الاستيلاء عليه من املاك الدايات .

٣- جميع الاعيان الموقوفة على الحرمين وفقراء المدينة المنورة .

٤- املاك الاتراك المبعدين عن الجزائر بعد فتحها .

٥- الاعيان التي استولت عليها السلطات بالمرسوم ٣١ تشرين الاول سنة ١٨٤٥ وتبلغ مساحتها حوالي ٢ مليون هكتار وقد ورد على لسان وزير الحربية في ذلك الحين انه يجب القضاء على الشعب الجزائري او على الاقل تسريده في داخل البلاد واحلال جاليات اوروبية مكانه في القرى والمدن الساحلية .

ومن تقرير اللجنة الملكية التي اوفدها شارل العاشر بتاريخ ٧ تموز سنة ١٨٣٣ يتضح لنا جلياً بعض الاعمال الوحشية التي ارتكبتها الافرنسيون في الجزائر .

« ... تأملنا ملياً كيف كانت قوات الاحتلال تعامل
الاهالي الوطنيين لانضح لنا جلياً ان مسلكها لم يكن يتنافى مع
ابسط قواعد العدالة فحسب بل كان يتعارض كذلك مع ما عليه
العقل والحكمة .

ولقد اهدرت السلطات الفرنسية حقوق الشعب ودامت
مقدساته وسلبت حرياته وبعد ذلك راحت تطالب الامة بالاخلاق
الى السكينة والكف عن المقاومة بل لقد ضمت السلطات الفرنسية
اعيان الاوقاف الدينية الى مصلحة الاملاك واعتدت على الملكية
الفردية وصادرت اموال طبقة من الشعب سبق ان بذات لها الوعود
باحترام اوضاعها القائمة .

وقد دنس جنودنا المساجد ونبشوا القبور وانتهكوا
حرمت منازل المسلمين ، واذا كانت ضرورات الحرب تقضى باتخاذ
بعض التدابير القاسية احياناً فان اللجنة ترى ان تحاط هذه التدابير
بغلاظة رقيقة (كذا) من الرحمة تخفف من بشاعتها ولكن سلطات
الاحتلال لم تفعل شيئاً من هذا بل ذهبت الى حد تعذيب افراد
ثبت بعد وفاتهم انهم ابرياء ومع هذا حرم اعقابهم من تركات
مورثتهم ، وقد ذبح الجنود الفرنسيون اشخاصاً يحملون جوازات
مزورة صادرة من سلطة الاحتلال العليا وقضوا عليهم دفعة واحدة
على جماعات وافراد لمجرد شبهات واهية حامت حولهم ثم اتضح
بعدئذ براءتهم ، كما اعدمت السلطات الفرنسية شيوخاً من اولياء
الله الصالحين لانهم تجرأوا على الشفاعة لمواطنيهم . وكان على مننضة

القضاء رجال يمثلون العدالة القرطسية واصدرت السلطات اوامر
باعدام ابرياء من شيوخ القبائل لانهم آووا جنوداً فرنسيين فروا
من الخدمة وافضت السلطات على الخونة الذين باعوا بلادهم باسم
المفاوضات .

وجملة القول فان قواتنا فاقت بتصرفاتها الوحشية جرائم
البرابرة الذين ذهبت قواتنا فيما تزعم لتحمل اليهم نور المدنية
فكيف يشكون من مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي بعد
هذا ! انتهى تقرير اللجنة الملكية المنصف .

وفي مجلس النواب الفرنسي صرح النائب دي ساد في
جلسة ٢٨ نيسان سنة ١٨٣٤ (بأن سلطات الاحتلال هدمت مدينة
الجزائر وحدها (٩٠٠) بيت ودون سابق اذار ودون تعويض
واستولت على ستين مسجد لاستخدامها في اغراض عسكرية
ونبشت القبور بحجة البحث عن الاسلحة) ثم قال النائب الفرنسي
(لقد كانت الجزائر محاطة بالحدائن الغناء والدور الانيقة فأصبحت
قاعاً صفصفاً ينشق فيها البوم) ولهذه الاعمال الوحية استشهد في
الجزائر اكثر من مليوني شهيداً دفاعاً عن البلاد خلال الاحتلال
الطويل .

وانقلبت الحكومة في فرنسا كما مروثشكات الامبراطورية
الفرنسية الثانية امبراطورية نابولايون الثالث وقد كان عهد هذه
الامبراطورية ضفتاً على اباله كما يقال في الجزائر .

لقد قررت هذه اللجنة فيما قررت ان لا يبقى لصاحب الارض من ارضه الا الجزء المزروع منها ولم تترك من المراعي الا مساحات قدرت بنسبة رؤوس الماشية المسجلة في دفاتر الضرائب فالتى لا تدفع عنها ضريبة لا ترى .

كما اعتبرت من اراضي العشور - اي للدولة - كل ارض لا يملكها صاحبها منذ ثلاثين سنة فنزعت تصرفات الملكية التي لا يحمل اصحابها مستندات ، ولكن الامبراطور رفض هذا التقرير نكابة بالافرنسيين الجزائريين الذين لم يصوتوا له بالاستفتاء الذي اجراه . فسياسة فرنسا في الاراضي والعقارات اذن كانت تهدف بالدرجة الاولى الى انتزاع الاراضي والعقارات من اصحابها لتملكها الدولة وبالتالي لتؤول الى المستعمرين الفرانسيين هبة او باسم المدينة او باثمان بخسة . وقد ذكر (ديمونتيه) في كتابه (اقتصاد الجزائر) في الصفحتين ١٠٤، ١٠٥ ان توزيع الاراضي في الجزائر كان على الوجه التالي حسب احصاء سنة ١٩١٧ .

١- املاك الدولة ٤٤،٥ /

٢- = الاوروبيين ١١،١ /

٣- = الجزائريين ٥٥،٤ /

ثم تغيرت النسب حسب احصاء ١٩٢٩ فأصبحت على الوجه التالي :

١- املاك الدولة ٥٤ ٪

٢- املاك الاوروبيين ١١,٣ ٪

٣- املاك الجزائريين ٣٤,٨ ٪

مع العلم ان الاستعمار يعد الاوروبيين على حساب
اهل البلاد بالمعونة الفنية والمالية ويزودهم بالآلات الزراعية .



٢- الاوضاع الادارية

بذل المستعمرون كل جهد لاستغلال الجزائر اسوأ استغلال
فالميزانية يقررها مجلس نصف اعضائه من الفرنسيين والنصف الآخر
من الجزائريين المواليين للفرنسيين وما يدفعه الاوروبيون من ضرائب
وهم قرابة المليون يعادل ما يدفعه الجزائريون وهم قرابة ١١ / مليون
نسمة ومعنى ذلك ان لدخايمهم يفوق عشرة اضعاف دخل المواطن
الجزائري . يضاف الى ذلك ان التجارة والصناعة والمواصلات كلها
في ايدي الغزاة الفانحين الغاصيين اما الجزائريون فهم الكادحون
المستهلكون المنتجات الفرنسية التي فرضها الاستعمار وحماها من
المنافسة الاجنبية فالاستعمار هناك قائم على السطو على الاملاك
والاستغلال الاقتصادي بالاستيلاء على المواد الاولية وفتح الاسواق
لتصريف المنتجات بالقروض ورخص الاستيراد للجزائريين
الفرنسيين ، والضرائب الفادحة وعزل الموظفين والمصادرة
والاغلاق من نصيب الجزائريين الاصليين .

٣- الاوضاع الاجتماعية

تعيش في الجزائر طائفتان مستعمرون فرنسيون ومستوطنون اوروبيون وطائفة الجزائريين اهل البلاد الشرعيين وهم اغلبية ساحقة ويزعم الفرنسيون ان سكان الجزائر لا يؤلفون وحدة عنصرية وتشكون امهم من عناصر متنافرة : بربري ، وميزاني ، وفرنسي ، وشاوي ، وعربي ، وتركوي وزنجي وهو زعم باطل لان الاسلام - كما في بقية البلاد المفتوحة - وحد بين سكان الجزائر وطبعمهم على لسان واحد ودين واحد وقومية واحدة منذ اكثر من عشرة قرون وكلما ازداد الاستعمار ظلاماً وقسوة ازداد الجزائري ايماناً بوحدته وتماسكاً بقوميته واخوته مع بقية احزاء العالم المغربي شرقاً وغرباً .

والجزائريون اليوم صف واحد وشعور واحد وتقدير واحد في سبيل نيل استقلالهم واسترداد حريتهم ، عربهم وبربرهم بانحاء واحد وهدف واحد هو التخلص من الحكم الفرنسي الثقيل الظل مها كانت النتائج والتضحيات والاقلية الاوربية في الجزائر وعددها قرابة ٨٠٠ / الف / ٦٠٠ / الف منها تحمل الجنسية الجزائرية يجمعهم ايضاً شعور واحد هو بغضهم لعرب الجزائر

وتتحد كلمتهم على شيء واحد هو اضطهاد العرب والتنكيل بهم في كل فرصة ومناسبة .

يزداد عدد سكان الجزائر بما يتراوح بين ١٥٠ - ٢٠٠ ألف نسمة سنوياً وذلك لكثرة تناسل الجزائريين لا لقلّة الوفيات ، لعدم توفر الوقاية الناجمة ، ولو سمحت القوانين الى العرب من غير الجزائريين باستيطان الجزائر كما يسمح الاوروبيين لتضاعف عدد العرب في الجزائر ولكن القوانين الاستعمارية تحول دون ذلك .

ومنذ عهد الاحتلال يعمل المستعمر جاداً بشقّ الوسائل والطرق على ابادّة اهل البلاد الشرعيين كما انه يشجع على هجرة الاوروبيين بما يقدم لهم من امتيازات وتسهيلات ولكن الشعب الجزائري رغم كل هذا ظل محتفظاً بخصائص جنسه وصفاته الرفيعة وهو يقاوم ، وينمو ، ويتكاثر ، ويزداد قوة وتوقفاً على العناصر الاجنبية الدخيلة .

آ- الاسلام

وتعرف فرنسا تمام العرفان ان الاسلام هو العامل الرئيسي في تكوين ذاتية الجزائريين وشخصيتهم فتحرص وهي ابنة الكنيسة الكاثوليكية على مواصلة الجهاد في سبيل محو هذه الذاتية ، ومحاولاتها في ذلك ظهرت في ربطها الشؤون الدينية بسلطانها مباشرة ومبدأ فصل الدين عن الدولة الذي اعلنته الجمهورية الفرنسية يطبق على فرنسا فقط فكأنه بضاعة للاستهلاك المحلي كما قال غامينا

في احدى خطبه :

« فالدولة في الجزائر تنفق على المعابد الكاثوليكية والبروتستانتية واليهود ثلاثة اضعاف ما تنفقه على المساجد الاسلامية بعد ان وضعت الاوقاف تحت ادارتها . »

مع ان المعتنقين للاسلام الجدد يزيدون على اية نسبة من المعتنقين للاديان الاخرى ، رغم محاولات المبشرين المسيحيين التي تتلخص بتنصير الجزائريين كما جاء في البرنامج الذي وضع اسمه (لايفجري) الكردينال سنة ١٨٦٧ حيث جاء فيه : (. . يجب ان نجعل من الامة الجزائرية مهذا لامة مسيحية كريمة وان نضيء ارجاءها بنور مدينة وحياها الانجيل وان نربط مصر افريقيا بمصير الامم المسيحية تلك هي رسالتنا الالهية) . وقد سار الآباء اليسوعيون على هذا النهج فنشطوا لمحو معالم الاسلام وتنصير الشباب الجزائري مستغلين حالة الشقاء والبؤس التي يعانيها ومعتمدين على المعونات الادبية والمادية التي تقدمها للمسيحية الادوات الفرنسية .

ومن هذا كانت محاولة القضاء على القضاء الشرعي ولما صعب ذلك ضيقت دائرة صلاحياته حتى اقتصر على الاحوال الشخصية والميراث وكان يحق للمدعي المسلم مراجعة المحاكم الفرنسية في قضايا المحاكم الشرعية اذا اراد .

ويضيق المجال عن تعداد المحاولات المخجلة السيئة التي اراد الفرنسيون بها محو معالم الاسلام والقضاء على دين الجزائر .

ب- الحالة الصحية

وعمد الاستعمار الفرنسي الى افناء الشعب الجزائري عن طريق آخر فلم يهتم بالاحوال الصحية بين الجزائريين بعد ان عم الفقر مساكنهم واحياءهم وعجزوا عن مداواة مرضاهم في المشافي الخاصة ، وصرفت الدولة كل اهتمامها الى الاحياء الاوروبيين وخصصت لها كل الاعتمادات لمكافحة الامراض السارية وتيسير الخدمات الاجتماعية .

وعلى العكس فعوضاً عن ان تكافح فرنسا الامراض لا كواجب سياسي وانما كعمل انساني نقلت الى البلاد امراضاً جديدة لم يعرفها الشعب قبل الاحتلال الفرنسي كأمراض الزهري والسيلان وما شابهها من الامراض التي اصبحت اليوم من اكبر الآفات الصحية والاجتماعية الخطره على حياة الشباب الجزائري واكبر دليل على التأخر الصحي في الجزائر هو ان عدد الاطباء في سائر انحاء الجزائر لا يتجاوز /٦٠٠/ طبيباً بمعدل طبيب واحد لكل عشرين الف تقريباً .

وقد شهد لويس شوفاليه في كتابه مشكلة السكان في شمال افريقيا انه لما توطنت اقدام الاستعمار في الجزائر انتشر السل انتشاراً مروعاً .

واكد هذه الحقيقة الدكتور ليفي فالانس في محاضرة القاها عام ١٩٤٦ جاء فيها ان عدد الجزائريين المصابين بداء

السل يبلغ خمسة اضعاف المصابين من الاوروبيين المستوطنين هناك
ويبلغ اكثر من عدد المصابين في كل فرنسا ذات الخمسين
مليون من السكان . »

فكان الحكومة هنا تسعى لنشر الامراض لتساعد على
افناء الشعب الجزائري فتشجع بواسطة الافرنسيين المستوطنين على
نشر الدعارة والكحول التي تهدم الصحة الاجتماعية هدماً . ولعل
قله الوفيات تعود كما تحدث احد الاطباء هناك الى حيوية الجزائري
ونظافة دمه وتمسكه بالدين الخفيف .

٢ - التعليم

وما كان نصيب التعليم في بلد الاحتلال الفرنسي بأوفى
من نصيب الصحة فقد وزع التعليم بغير عدل واهمل الجزائريون
وتقصدت فرنسا نشر الجهل بين طبقاتهم خوفاً من يقظة الاجيال
الصاعدة وثورتها على الظلم الذي ترتكبه فرنسا في تلك البلاد العريقة
في الحضارة والاستقلال والحرية وقد حرصت فرنسا على اهل
شئون اللغة العربية ومن هنا كان الجيل الذي عاش في اواخر
القرن الماضي واوائل القرن الحاضر يجهل - كما تقول فرنسا -
اللغة العربية لانها طبعته على طريقته الجديدة في فرنسة الشعب
الجزائري ، وقد اثبت الكاتب الفرنسي « بولار » بان الادارة
الموكول اليها الاشراف على المدارس تضم افراداً لاخلاق لهم حيث
اختلسوا الاموال المخصصة لتعليم ابناء الشعب الجزائري .
وكتب ضابط فرنسي اسمه (رين) يقول ان فرنسا ضبطت جميع

موارد المدارس الموقفية وبذلك تضاعف عدد المدارس وبالتالي عدد الطلاب فأصبح ٣٠ ألفاً بدلاً من ١٥٠ / ألفاً ، كانت وسائل التعليم مكفولة لهم قبل عهد الاحتلال وفرض على كل طالب رخصة مدرسة اهلية ان يأخذ موافقة الحاكم العسكري . وعلى كل معلم يريد التعليم ان يتقن اللغة الفرنسية بينما كان اكثر المعلمين من خريجي كلية الزيتونة او كلية القرويين التي كانت تدرس علومها باللغة الفرنسية آنذاك ، ولهذا أخرج عدد كبير من افاضل الناس وعلمائهم من مهنة التعليم واوكلت الى الشباب المتفرنس والغرض من هذا كله كما يظهر واضحاً قطع آخر رباط بين العروبة والمغرب العربي وتسهيل فرنسة الجزائريين فالمعاملات في الدوائر الرسمية باللغة الفرنسية واللغة في المدارس اللغة الفرنسية ، كما ان مقتضيات الحياة اليومية تتطلب في كثير من الاحيان التحدث بلغة المستعمر وهكذا اتصل بينهم وبين اللغة الفرنسية بقدر ما التوت بينهم باللغة العربية ولولا القرآن الذي يقرأه الجزائري في صلاته كل يوم ولولا المدارس القرآنية التي اوجدها زعماء الجزائريين كوسيلة من وسائل بث روح الكفاح في الشعب لاتممت اللغة العربية من الجزائري منذ عهد بعيد وهكذا كان لاحدى عشر مليون جزائري مئة الف تلميذ فقط في سبعمئة مدرسة رصدت لها اعتمادات تقدر بمبلغ ٦٨٠٥ مليون فرنك .

والمليون فرنسي واحد مائتا الف تلميذ من الف واربعمئة مدرسة رصدت لهم اعتمادات بمبلغ ٣٣٩ / مليون فرنك .

وما كان حال العمال بأحسن من حال الطلاب ، فالظلم
الاجتماعي نال من هؤلاء نصيبه ايضاً فحرموا من المؤسسات
النقابية الوطنية التي تتولى الدفاع عن حقوقهم والنقابات الموجودة
الان تدين للمستعمر بوجودها فتخدم مصالحه بصراحتة وتلك هي
مثل الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين والاتحاد العام للعمال الكادحين
الذين لا يجمعان سوى المستخدمين الفرنسيين العاملين في المرافق
العامة تمدها فرنسا بالمال وتغفق عليها المنح السنوية في حين تهذر
حقوق ملايين العمال الجزائريين ولا يدافع عن حقوقهم احد .



الثورات في الجزائر

تمهيد :

بعد هذا الاستعراض الخاطف لوضع الادارة التي نظم بها الفرنسيون حكمهم في الجزائر نعود الى الحديث ثانية عن نضال الجزائري .

في الواقع ما خمد نضال الجزائري منذ دخلها الفرنسيون حتى الآن فالثورات فيها متتالية رغم عمليات القمع الجائرة ورغم الضغط الشديد الذي تقوم به السلطات المستعمرة ورغم الوسائل القهرية التعسفية التي تستعملها في خنق روح المقاومة لدى الجماهير المناضلة وبالتالي رغم الدعاية والاغراء والتبشير والاعتمادات التي تصرف في سبيل اجتذاب اكبر عدد ممكن من الجزائريين اصحاب الضمائر الرخيصة .

رغم هذا كله ففرنسا ما هدت يوماً عن مقاومة حركة التحرير في الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة حتى ان مجلس النواب الفرنسي كان يندد بالسياسة المتبعة في الجزائر ويطلب في كل مناسبة ولدى كل ازمة بضرورة حل مشاكل الجزائر حلاً

يرضي سكان الجزائر ووقار الاستعمار هناك ، ومن الصعب التوفيق بين التقيضين .

آ- ثورة عبد القادر

وكانت فاتحة هذه المقاومة العنيفة للحكم الفرنسي ثورة عبد القادر الجزائري التي خلدت انصع صفحة في التاريخ المغربي خاصة .

لقد لبث القبائل العربية الجزائرية في الثاني والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ دعوة رئيس قبيلة هاشم الامير محي الدين والد البطل عبد القادر الجزائري بالانتفاف حول عبد القادر لمقاومة الاحتلال الفرنسي الغاصب .

ومحي الدين هذا والد بطلنا ينتسب الى حكام دولة المرابطين وكان عبد القادر قد أدى فريضة الحج مرتين وهو في الرابعة والعشرين من عمره وكان إلى تقواه بارعاً ذكياً شجاعاً فانضمت الى قبيلة هاشم المنضوية تحت لوائه قبيلة عامر ، وعمره لا يتجاوز الثانية والعشرين آنئذ وما هي الا فترة وجيزة من الزمن حتى اقصين الزعماء الآخرين عن ميدان المقاومة التحريرية وتزعّم الحركة وحده وتسمى بأمر المؤمنين وبعضهم يقول السلطان كما كانت له البيعة بين الجنود ودعاء الى الجهاد ضد الفرنسيين .

وكانت في هذه الاثناء قد عمّت الفوضى مقاطعة وهران

فاستغلها عبدالقادر وزحف لتوه وبما وصلت اليه يده من عتاد الحرب الخفيف واحتل مدينة معسكر في مقاطعة وهران بعد ان طرد الفرنسيين منها بعد معركة لاهية واعلنها عاصمة للجهاد والكفاح وارسل بعدها الرسل والدعاة والبعوث الي القبائل المختلفة يستحثها فيها على الاسراع بالانضمام الى حركة اخذ الثأر والقضاء على انغزاة الاستعمارين البرابرة . واتصل بالوقت ذاته بسلطان مراکش مولاي عبدالرحمن آنذاك طالباً منه المعونة منضوياً تحت لوائه متخذاً لنفسه لقباً حياً له :

(خليفة السلطان المراكشي في الجزائر) بدلا من لقب سلطان العرب الذي بدأت القبائل تناديه به مضمياً بذلك على حركته صفة الشرعية التي يوفرها العمل تحت امرة دولة مراكش المعترف بها رسمياً من جميع الدول كدولة مستقلة ذات سيادة .

ولكن هذه الصرخة لم تلق اصداء طيبة من لدن السلطان المراكشي العربي ، وكان للنصر الذي احرزه عبدالقادر في معسكر اثره الكبير اذ دخل قائد وهران والجنرال دي ميشيل Des michal في مفاوضات معه ولكن فرنسا لم يرق لها هذا الاعتراف بقوة عبدالقادر الجديدة فاستبدلت دي ميشيل بالجنرال تريزل Trésel الذي استخف بقوات عبدالقادر وحاول الاستيلاء على الجزء الداخلي من البلاد بقوات هزيلة ولكنه في ٢٦ تموز سنة ١٨٣٥ مني بهزيمة شنعاء عند نهر (المقطع) ويعرف ايضاً بنهر

هجرة بعد قتال عنيف خلال يومين عاد تريزل مؤمناً بقوة الجزائري
وجلاً من حركة المقاومة ، وعد عبد القادر في افريقيا الشمالية كلها
حامي الاسلام ومنقذه بعد ذلك النصر المظفر وتعقب غرسان
الجزائري فلول الجيش الفرنسي وكنوا له في منعطف مرّ به
الجيش الفرنسي المتراجع فألقوا عليه وقضوا عليه قضاء تاماً الا
بعض جنود ارادهم عبد القادر ان يعودوا ليخبروا زملائهم بما
حدث .

عندئذ اضطرت فرنسا الى تعيين - كلوزيل الجلال
الفرنسي - ثانياً في آب سنة ١٨٣٥ فوق الى اخراج عبد القادر
من معسكر ، وكان عبد القادر في هذه الفترة قد استحصل على
فتوى من علماء فاس عاصمه مرا كش اجازوا بها لعبد القادر جبايه
الضرائب باسم سلطان مرا كش لمتابعة حرب التحرير .

واحيجت الحكومة الفرنسية عن دفع نفقات الحملة
الكبرى التي اعدّها كلوزيل لهذا الغرض فتعين على كلوزيل ان
يقتصر على فتح قسنطينة . والواقع ان فتح قسنطينة التي كان يحكمها
الباي وحدها تم بمساعدة شاب وعده كلوزيل بحكمها اذا تم له
فتحها بمعاونته يضاف الى ذلك ان اهالي قسنطينة كرهوا الداي .
الباشا لما ابتز منهم من اموال .

وحسب كلوزيل انه بمقدوره الاستيلاء على البلاد كلها
بحملة عددها سبعة آلاف مقاتل ، فأضطر في تشرين الثاني من

العام نفسه الى التراجع فعين مكانه بسبب هذا الاخفاق الجنرال
 دامريمون وذلك في شباط سنة ١٨٣٧ Damrémont فبادر
 الماريشال بوجو القائد العام الجديد للحملة الى انزال ضربات
 سريعة بعبد القادر الذي اقلق المواقع الفرنسية في الغرب وكانت
 الحكومة الفرنسية راغبة بانهاء الحرب فطلب بوجو الى عبد القادر
 الجزائري الصلح وذلك عند نهر (تافنا) او (طفنه) من ٣١ ايار
 ١٨٣٧ فقبل عبد القادر الصلح وعقد معاهدة بينه وبين القائد
 الفرنسي ، ولم تكن هذه المعاهدة من صالح فرنسا كما انها
 لم تضمن للامير كل ما يرجوه من مقاومة ويظهر انه قبل بها
 ليتأهب من جديد الى خوض معارك حاسمة يتم بها جلاء
 المستعمر الغاشم عن بلاده وقد استرد بموجب هذه المعاهدة الامير
 عبد القادر معسكر ومقاطعة وهران جميعاً وجزءاً كبيراً من مقاطعة
 الجزائر ولكن حكومة فرنسا لم توافق على المعاهدة ، وعندها
 اقام الجزائري اسساً ركيزة لحكمه في المشرق ايضاً فأرسل
 حكاماً من قبله الى كل من « مجانه » و « زيبان » و « لغواط »
 كذلك تقدم في الصحراء واقتحم في تشرين الثاني سنة
 ١٨٣٨ حصن (عين ماضي) بعد حصار دام خمسة اشهر وكان
 صاحب الحصن هذا احد المرابطين « محمد التجيني » الذي ناهض
 الجزائري فقضى عليه خلال فترة الهدنة بينه وبين الفرنسيين وقد
 تمكن من انشاء الاسلحة وتدريب الجنود على الخطط والطرائق
 الأوروبية .

وفي اواخر ايلول سنة ١٨٣٧ سار دامريغون على راس اثني عشر الف مقاتل الى قسنطينة ثانية وبدأ قصف المدينة بالدافع بتاريخ ٦ تشرين اول وحدد (دامريغون) ستة ايام لدخول المدينة ولكنه سقط صريعاً اثناء اعداده العدة لهذا الهجوم فخلفه في القيادة فاليه Vallée ، وبعد معركة دامية دامت رحاها آخر الامر في الشوارع سقطت بعدها القصبة وهي الحصن المطل على المدينة في ١٣ تشرين الاول .

ومنذ ذلك الحين خط الاحتلال في البلاد خطوات واسعة الى الامام وانشئت (مدينة فيلب Philippe ville لتكون ميناء قسنطينة . ومن الجزائر احتل الفرنسيون بلدية التي عز عليهم فتحها في بدء الاحتلال وفي تشرين اول ١٨٣٩ صار في ميسور الجيوش الفرنسية الفاتحة ان تنتقي عبر جبال الاطلس .

واعتبر عبدالقادر تقدم الفرنسيين هذا تقصاً لمعاهدة تافنا فدعا في (المدينة) الى الجهاد ضد الفرنسيين فهاجم عامله (محمد بن سالم) مدينة (متيجة) واقضت فترة المخطر فيها بالجزائر ، وكانت حاميتها ضعيفة ولكن فاليه ما لبث ان هزم عبدالقادر عند (شيفته) ثم احتل المدينة في ١٨ مايس سنة ١٨٤٠ وفي اواخر العام عين بوجو حاكماً عاماً على الجزائر . وفي مطلع ربيع عام ١٨٤١ افتتح الحملة على عبدالقادر من المدينة فاتصر عليه انتصاراً باهراً في ٤ ايار سنة ١٨٤١ ثم انه انقلب الى الشاطئ ايزحف من مستغانم الى الداخل كرة اخرى واحتل في ايار عاصمة عبدالقادر

الحديقة « تا كندمت » .

وفي مطلع سنة ١٨٤٢ احتل بوجو تلمسان وفي ٩ شباط
خسر الامير مدينة « مبيدو » ، آخر مدنه المحصنة ومن ذلك الحين
بدأت حرركته بالانهيار .

وفي ١٦ مايس سنة ١٨٤٢ وفق دوق دوماك Duc
d'Aumal بعد زحف مستمر الى مباغته العدو والتغلب عليه
وهكذا سقطت اربعة آلاف من رجال الامير وسقطت امواله
وعائلات عدد كبير من اتباعه سقطوا جميعاً في ايدي القوات
الفرنسية ، فحسب الفرنسيون ان الاسد المصور قد انهيار وسوف
يتوارى .

ولكن حرس عبدالقادر الذين استماتوا في الدفاع عنه
أباجو له الفرص للافلات من الوقوع في قبضة العدو ليجد الامن
في مراکش .

موقف مراکش

وفلوض بوجو المراكشيين في شأن تسليمه ولكن على
غير طائل فلم يكن منه الا ان عبر الحدود بنفسه وكانت فرنسا
ارسلت ثمان وعشرين قطعة بحرية من اسطولها منذ اليوم الاول
من آب سنة ١٨٤٤ لترابط في مياه مدينة طنجة وراحت تنذر
سلطان مراکش بوجوب التخلي عن الامير عبدالقادر وطرده من

البلاد المراكشية وصبت البوارج حممها على مدينة طنجة فنهيه
السلطان الى ضرورة الاسراع بقبول الانذار ولم تسكت افواه مدافعيها
الا بعد ان دكت حصون المدينة العربية العزلاء .

واجتازت في الوقت نفسه قطع اخرى من الاسطول
الفرنسي مضيق جبل طارق والقت مراسيها امام المرفأ المراكشي
اغادير او موغادور وقصفته بالمدافع طيلة ساعات ثم انزلت اليه
عدة فصائل من جنود البحرية فأحتمله بعد ان دافعت عنه حاميته
العربية بأسلحتها الخفيفة القديمة دفاعاً مجيداً واستشهدت كلها في
مسجد المدينة الذي جعلت منه حصنها الاخير وقضى رجالها الابطال
اليامين سجنهم في بيت الله زائدين عن العروبة فكانوا عند ربهم
احياء .

وفي ١٤ آب سنة ١٨٤٤ دارت رحى معركة على وادي
إيسلي احد روافد نهر تافنا بين الفرنسيين والجيش المراكشي
وكانت عدته ٦٥٠٠ الف رجل تحت قيادة ابن السلطان ولم يكن
تحت تصرفه بوجوا اكثر من ستة آلاف رجل ومع ذلك فقد
استطاع ان يهزم الجيش المراكشي الكبير الضعيف السلاح الفاقد
النظام وعندئذ اعلن السلطان استعدادة لعقد الصلح وابرم معاهدة
طنجة المعينة مع فرنسا في ٢٦ تشرين الاول ١٨٤٤ ومن بنودها
الرئيسية .

١- حل الجيش المراكشي المرباط على طول الحدود الجزائرية
المراكشية وهو نفس الشرط الذي قدمه بعد مئتين وسبعين سنة

الجنرال غورو لحكومة دمشق عام ١٩٢٠ والذي كان قيوله بداية فاجعة ميسلون .

٢- اعتبار عبدالقادر خارج عن القانون والقاء القبض عليه او منعه من دخول الاراضي المراكشية .

٣- الاعتراف بالحدود المراكشية الجزائرية كما كانت قبل العدوان الفرنسي على الجزائر .

٤- معاملة فرنسا معاملة الدولة الاكثر رعاية في الشؤون التجارية والسياسية ، ونابع الجزائريون الممارك في الوطن المراكشي دون معاودة السلطان المراكشي فغاز الجزائريون بمعركتين الاولى سيدي ابراهيم التي افنى بها عبدالقادر عدة آلاف من خيرة الجنود الفرنسيين ومعركة « قصر بني سنان » التي اضطر الجزائري فيها آلاف اخرى للاستسلام صاغرين ، فاذن لم يسلم السلطان المراكشي عبدالقادر وانما تخلى عن مساعدته وفي الواقع لم يقو السلطان على تسليمه لان القبائل المجاورة لحدود الجزائر حمت عبدالقادر وما كانت تطيع كثيراً هذا السلطان الجبان .

وازكى اتباع الطرق ولا سيما « الدرقاوا » نيران العصبية الدينية بين القبائل فتابعت حرب المعصابات ضد الفرنسيين ، عندها عاود عبدالقادر الهجوم على الجزائر لتخليصها من ايدي المحتلين بحرب عصابات فوجه بوجو ثماني عشرة فرقة لمطاردته طوال الخريف والشتاء من سنة ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ولكنها لم توفى الى

الالحاق به برغم ما استعمله من حرق للقرى الآمنة وتدمير المنازل
وردم للآبار Lafna الثوار عطشاً .

وعاد الجزائري الى المراكش مره اخري وتمكن ممثلو
الحكومة الفرنسية من اقناع السلطان بضرورة توجيه جيش
لاخراجه من البلاد عملاً بمعاهدة طنجة وفي ٢١ كانون الاول
سنة ١٨٤٦ عبر الجزائري نهر ملويه القائم على الحدود تحت نيران
القوات المراكشية فطوقته الجيوش الفرنسية فاستسلم في ٢٣ كانون
الاول سنة ١٨٤٦ بعد ان وعد بنقله الى عكا او الاسكندرية اذ
كان يرجو ان يؤدي فريضة الحج مرة اخرى ، ولكن الفرنسيين
حملوه الى طولون ثم اسروه في قلعة أمبواز وفي ٢ كانون اول سنة
١٨٥٢ فك نابوليون الثالث اساره فذهب الى تركيا حتى اذا وقعت
زلازل سنة ١٨٥٥ اقام في استامبول ثم في دمشق وهناك قام بالعمل
الانساني الكبير اذ انقذ النصارى المارونيين خلفاء فرنسا في الشرق
من مذابح سنة ١٨٦٠ التي حدثت في لبنان على ايدي الدروز
وتوفي عبدالقادر الجزائري في دمشق سنة ١٨٨٣ لقد كان سيفاً
عربياً لا يفل وايقلاً عربياً لا يقهر ورائداً من رواد الجهاد العربي
في العصر الحديث فقد رده خصومة قبل اصدقائه .

• • •

ب- لالا فاطمة :

لقد استسلم عبدالقادر ولكن لم تستسلم الجزائر وأسر

عبد القادر ولكن بعد ان خلف جيلا من الاحرار المناضلين عن بلادهم .

ففي سنة ١٨٥٧ ظهرت في قبيلة (بني) نبيه اسمها لالا فاطمة فتبعها القبائل المجاورة كلها وقد اضطر الحاكم العام راندون Randon ان يخرج بنفسه لقتالها على رأس ثلاثين الف مقاتل وبعد معارك دامية اسر لالا فاطمة واخضع القبائل اخضاعاً كاملاً .

وفي جنوب الجزائر حيث عهد الفرنسيون بالحاكم الى عشيرة (اولاد سيدي شيوخ) ومنحوها سلطات واسعة . وفي سنة ١٨٦٤ استشعر ثالث ممثلي هذه الاسرة (سي سليمان) ان كرامته قد مست بسبب سلوك بعض الضباط الفرنسيين فأعلن الثورة في شهر شباط بتحريض من عمه « سي لالا » فلم يكن من القائد العام (بوبريتير Beauprêtre) الا ان خف من (تيارت) لاختاد الثورة ، ولكن خيالاته الوطنية خدعوه وفتكوا به وبفرقة المشاة التي كانت يقودها وان يكن قد استطاع وهو في النزاع الاخير ان يطلق النار على (سي سليمان) الذي كان قائماً الى جانبه فيرديه صريعاً .

بيد ان مصرع (سي سليمان) لم يضع حداً للثورة فقد نهض بعبء القيادة من بعده اخوه محمد المريض (سي الازرق) .
وبالنظر الى ان نابوليون الثالث ارسل اقوى فرقة الى المكسيك والهند الصينية فقد استمرت الحرب فترة طويلة في

جنوبي الجزائر حتى ان زعيمى الثورة قد صرعا في شتاء ١٨٦٤ -
١٨٦٥ ولكن اتباعها المعتصمين بالجبال التي تعذر على الفرنسيين
بلوغها لم يلقوا السلاح وكانوا يفرعون الى الارض المراكشية كلما
انسوا خطر القوات الفرنسية وعلى الرغم من ان الجنرال ويمبفان
Wimpfen انزل العقاب بحلفائهم سنة ١٨٧٠ فقد ظل الثوار
يتراجعون شيئاً فشيئاً في الصحراء ولم يكن في الامكان اخضاعهم
نهائياً الا في سنة ١٨٨٤ .

• • •

٢ - ثورة المقراني :

بيد ان الهزائم التي نالتها فرنسا في حربيها مع المانيا سنة
١٨٧٠ وتمحوها الى النظام الجمهوري سنة ١٨٧١ انعشت في الجزائر
آمالاً جديدة في الحرية والاستقلال ما كانت في الواقع اخصب من
سراب مباديء الفرنسية .

لم تبدأ السنة الثانية من عهد الجمهورية حتى نشبت
الاضطرابات بسبب تجنيد السباهيين وحشدهم على الحدود التونسية
خاصة . وقد وجدت الحركة الجديدة زعيمها القوي في قيادة محمد
المقراني باش آغا يؤيده اثنان من المرابطين ايضاً .

وكان المقراني ينتسب الى اسرة من اغنى الاسر وانبلها
في مقاطعة قسنطينة ، وقد ساعد الفرنسيين في اول عهد الاحلال
فأغدقت عليه الدولة الانعام والوسمة جزاء ما ابداه نحوها من

اخلاص وولاء . ولكنه استقال من منصبه لانه ابى ان
يطيع رئيساً يهودياً والواقع ان العامل الشخصي لعب دوره في
قضيته الى جانب الاستياء السياسي . ففي اثناء مجاعة سنة ١٨٦٧
استدان اموالاً كثيرة ابتغاء مساعدة مواطنيه . ولم تف له
الحكومة بالتعهدات التي اقطعتها له ولبلاده وهكذا دعا القبائل
الى اجتماع كبير عقده في منتصف اذار اعلن فيه الحرب على
اقرب موقع عسكري . وفي ٨ نيسان انضم اليه قطب الطريقة
الرحمانية الشيخ الحداد بعد ان حرصه على ذلك ابنة عبدالعزيز ،
وما هي الا فترة حتى اشتركت قبائل البلاد كلها من البحر حتى
الصحراء في القتال وطفق الثوار ينتشرون على مقربة من الجزائر
وفي ٦ ايار سنة ١٨٧٢ قتل المقراني في معركة دارت رحاها
في وادي (سفله) قرب اومال فقام مقامه اخوه الذي وقع اسيراً
في ايدي الفرنسيين في ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٧٢ في يد
العدو قرب روليان .

الجهاد الجزائري في القرن الحالي ...

اما في القرن الحاضر فقد كانت الاحداث ثورة خالد
الجزائري حفيد عبدالقادر الجزائري الهاشمي : اذ ارسلها صرخة
مدوية سنة ١٩٣٠ بأن الجزائر قطر عربي صميم يسعى للاستقلال

عن فرنسا وينشد الحياة الحرة الكريمة وقد ودع الدنيا عام ١٩٣٧
دون ان تكتحل عيناه باستقلال بلاده .

وسلم الامانة بعد ذلك الى زعيم نضالي كبير هو (مصالي
الحاج) الذي نادى بوحدة النضال في المغرب العربي بعد ان خضع
المغرب العربي للاحتلال الفرنسي ولا غرابة ان ينادي المصالي بوحدة
النضال فقد كانت الجزائر وتونس تؤلف وحدة سياسية منذ القديم
تحت مياسة المرابطين بين ١٠٥٥ - ١١٤٧ فالموحدين ١١٤٧ -
١٢٦٩ فبنو مرين ١٢٦٩ - ١٥٥٠ ولم تنقسم عرى هذه الوحدة
إلا عندما وقع الغزو التركي والغزو الاوروبي .

وغرض الحزب الجديد انشاء اتحاد من المغرب العربي
تضم كل اجزائه وبوحد هدفه بتحرير اراضيه من الاستعمار
الفرنسي والاستقلال الاقتصادي بالوانه .

وقد الف (مصالي الحاج) حزب الامة الجزائري وجمع
فيه النخبة المختارة من ابناء الجزائر وباشر معها نشاطه الحزبي
الوطني على الصعيد الشعبي الجماهيري بحماسة بالغة وايمان قوي
بمستقبل الوطن المغربي .

واقدم تفنن الاستعمار الفرنسي في وضع الخطط والمشروعات
للقضاء على الشعب الجزائري او على الاقل لتشيويه معالم شخصيته
ولعل اشنع محاولة قامت بها السلطات الفاصلة مشروع (بلوم-فيوليت)
الصادر عام ١٩٣٦ والفاضي بتقسيم الجزائر الى طائفتين احداها

تنسب الى فرنسا وتحمل جنسيتها والثانية لم تبلغ بعد في نظر
فرنسا مرتبة الشرف لتحظى بالرعية الفرنسية . وتطور حزب
الامة الجزائري الى حزب نجم الشمال الافريقي فاكسح تيار
الحزب الجديد الفئات الخارجة عن رأي الامة ، ولكن سرعان
ما حلت فرنسا هذا الحزب عام ١٩٢٧ فتشكل سرأ حزب جديد
باسم حزب الشعب الجزائري شعاره « الجزائر بلادنا والعربية لغتنا
والاسلام ديننا وبحميا المجاهدون الاحرار ويموتون في سبيل نصرة
الوطن والدفاع عنه » وقد تحدت اهداف الحزب : بالاستقلال
التام والسيادة الكاملة والرفاهية الشاملة للشعب الجزائري اهداف
لا يحيد عنها الحزب منذ نشأ .

. . .

وخمدت حركة المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية
واستيقظت حركة النضال من جديد على اجراس الهدنة في ٨ مايس
سنة ١٩٤٥ حيث كانت مبادئ مصالي الحاج قد اتت اكلها واثبتت
مدى تقبل الشعب لها واستعداده للتضحية والبذل من اجلها وذلك
في التظاهرات التي اقامها في ٨ ايار سنة ١٩٤٥ يوم اعلان استسلام
المانيا في طول الجزائر وعرضها وطالب فيها فرنسا بالجلء عن
البلاد ، وكان اعظمها تلك المظاهرة التي مشى بها في شوارع سطيف
هاقفا بسقوط الاستعمار الفرنسي الغاشم داعياً الى فصل الجزائر عن
فرنسا منقضاً على بعض المستوطنين الفرنسيين الذين ارادوا ان

يترعوا من ايدي الوطنيين اللافتات التي كانوا يعرضون عليها شعاراتهم الوطنية وقد أيد من الفرنسيين في ذلك اليوم ثمانون علجاً ، فأمرت فرنسا الجزائر بوابل من الطائرات والدبابات والمدافع تساعدها الطرادات من البحر واستباحوا بها السنغاليين ومرترقة فرقهم الاجنبية الاندال مدينة سطيف وما حولها من السهول والانجاد وما تركوها الا بعد ان غدت قاعاً صفصفاً حيث اصطبغت ارضها بنجيع هذه المذبحة الهائلة - وحسب تقدير الصحف الامريكية آنذاك - بدم خمسين الف شهيد لا بدماء ثمانية آلاف فقط كما اعترف بعدئذ الفرنسيون .

وتفتقت عبقرية فرنسا في دستورها الجديد الذي ارادته لنفسها بعد الحرب والصادر في تشرين الثاني ١٩٤٦ عن نظام جديد للجزائر اصدر بقانون ٢٠ ايلول ١٩٤٧ قسمت فيه الجزائر الى ثلاث مقاطعات فرنسية واعتبر الجزائريون مواطنون من الدرجة الثانية وسمح لهم بانتخاب ١٢ / نائباً للمجلس الوطني الفرنسي . ويحكم المقاطعات الجزائرية الثلاث حاكم فرنسي عام يساعده مجلس استشاري اعلى يعين اعضاءه المجلس الوطني الفرنسي .

ولكنها فشلت هنا كما فشلت في شن المدوان ، فلا الحديد والنار ولا النظام الجديد استطاعا ان يوهنا عزم الجزائريين الاحرار الذين وحدوا صفوفهم وعقدوا الخناجر على محاربه النظام الجديد وقد تجلّى ذلك في الانتخاب للمجلس الاستشاري حيث لم يقترع

أكثر من ٥٠٪ من مجموع الناخبين .

ومنذ مطلع عام ١٩٥٤ بدأت في الجزائر حركة جديدة منظمة سميت باسم جيش التحرير اظهرت البطولات الفائقة حتى شهدت السياسيين العالمين وقد اعلن راديو باريس يوم السبت في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ « ان ثلاثة آلاف جندي فرنسي بدأوا اليوم المرحلة الثانية في هجومهم على الثوار في جنوب جبال « المرريس » وقد جاء هذا الهجوم في اعقاب الحملة التي شنها يوم الاربعاء الماضي خمسة آلاف جندي تؤيدهم الطائرات والسيارات المصفحة داخل هذه المنطقة الجبلية حيث يعتصم هناك ستمائة من الثوار وقد بدأ جنود الفرقة الاجنبية رالماة بمهاجمة المنطقة الجبلية عند فجر اليوم وكان على رأس القوة الفرنسية القائد « ميلت » قائد فرقة المظليين الخامس والعشرين .

ولوحظ ان الثوار دافعوا ببسالة حتى انهم عززوا بنجذات من ثوار تونس ، وقد تماشوا حتى الان الانحزام مع الفرنسيين في معارك كبيرة وقد تراجعوا الى حصونهم التي لا تستطيع القوات الالية الوصول اليها .

وقد حددت الوزارة الفرنسية ليل الثالث من شباط لمناقشة بيان الحكومة حول برنامجها في المغرب العربي وطلبت على اثر هذا البيان وما تبعه من نقاش حاد الثقة فحجب المجلس الوطني الثقة عن وزارة (منديس فرانس) الذي يعمل بوحى امريكا من

فرنسا ويحمي قواعدها في الجزائر كما يقول كتاب (حقائق
جزائرية) الصادر عن (حركة انتصار الحريات الديمقراطية في
الجزائر) هذا العام وسقطت وزارة فرانس صباح الخامس من
شهر شباط ١٩٥٥ والمغرب العربي يتأجج بالثورة على الاستعمار
الفرنسي .

وقد قررت الدول العربية رفع قضية الجزائر الى مجلس
الامن باعتبارها حالة تهدد السلم العالمي كما جعلت الدول العربية
شرطاً اولياً للاتفاق مع الغرب . حل قضايا العرب وفي طليعتها قضية
فلسطين والمغرب العربي .



آراء في الكفاح الجزائري

١- كتب الكاتب الفرنسي (كلود بورديه) في جريدة
الابسرفاتور الفرنسية مقالا قيما عن سوء ادارة حكومة فرنسا
ومعالجتها لمشاكل الجزائر جاء فيه .

(... ولن ننسى ما قام به الجزائريون عام ١٩٤٥ من
التظاهر والاحتجاج والحقيقة ايضا وايضا تقول ان ٤٠ الف مواطن
في الجزائر قد ذبحهم الجيش المسمي بالفرنسي عام ١٩٤٥ بمعاونة
المستعمرين المسلحين وكان ذلك جوابا على ثورة شبيهة بثورة اليوم
وكانت اسبابها غامضة ولم تخل من تخذ مفتعل ويستطيع الفرنسيون
ان ينسوا ذلك بسهولة هذا إن نحن افترضنا معرفتهم لها اما عرب الجزائر
فقد صمتوا على مفضض ولكنهم لم ينسوا ذلك ابداً والحقيقة تقول ان
الجزائر تعيش في ظل نظام بوليسي قد استعمل في السنوات القليلة
الماضية جميع انواع الضغط والاكراه واساليب التعذيب التي لا
تمائلها اساليب القسوة وما زال هذا النظام يستخدم التجسس وشراء
الضماير والسجون كوسائل لتثبيت الحكم وما كانت الانتخابات
الكثيرة التي جرت منذ ١٩٤٧ وفيها انتخابات ١٩٥٤ الا مهازل
تضحك اكثر بكثير من التي تمثل وراء الستار الحديدي! والحقيقة

تقول ايضاً ان بني (ديوي) عملاء فرنسا وزعماء الكرتون الذين
ملئت صدورهم بالاسمعة الفرنسية والذين يملثون بدورهم مجلس
النواب الجزائري يملثون شعب الجزائر تماماً كما كانت تمثل فرنسا
اشباح فيشي ابان الاحتلال الالماني. والحقيقة نقول ايضاً ان الاستقرار
والسلام الذي كان يسود الجزائر احياناً لم يكن سوى نتيجة
النظام الارهابي والوسائل التي استخدمت بلبافة وكان هذا
الاستقرار المصطنع حجة في ايدي الحاكمين للابقاء على الاصلاحات
المشولة .

والحقيقة بعد هذا كما يقول الجزائريون يجب ان تسمير
الآمال في اجساد شعب الجزائر حتى تستطيع بعد ان (تؤمن بفرنسا) !
ان الشعب الجزائري بائس يائس مخدوع ونحن سبب ذلك كله وهذا
هو السبب الاول لهذه الحرب التي بدأت في جبال اهراس (العرابس)
كما كان السبب تماماً في محاولة الاغتيال التي قام بها البورتوريكيون
في بلادم وفي نيويورك بؤس اخف وطأة من بؤس شعب الجزائر
بان الاستعمارين الفرنسيين لا يريدون الحرية للمغرب العربي لانها
تعني نهاية ارباحهم الفاحشة ولهذا هم يخلقون في الجزائر وضعاً غير
قابل للتسوية اطلاقاً فاي اكم وانصاف الحلول .

لقد جرب الهولنديون في اندونيسيا سياسة انصاف الحلول
فزادت ضراوة فضال الشعب الاندونيسي .

والحل الوحيد اقضيايا المغرب العربي عامة هو تجنب الحديد

والنار كما فعل الانكليز في الهند والكف عن مقاومة الفدائيين وحل
مجلس النواب الجزائري المزيف واجراء انتخابات صحيحة تبدأ
بمدها الاصلاحات . ان المغرب على مفترق الطرق وعلينا ان نختار
له الطريق) .

٢- واذا ع مكتب المغرب العربي بدمشق نداء صدر
بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٥٤ يصور حالة الجزائر خاصة
وحالة المغرب العربي عامة جاء فيه ما يلي :

(... ان هيئة الجزائر ومشاركتها في سلسلة جهاد
المغرب الشاق لا تحمّلان في معناها مضاعفة القوى الموجهة ضد
الاستعمار فحسب بل تدلان على مدى اصاله الحرية المتغلغلة في اعماق
ابناء ذلك الجزء من الوطن العربي .

ليست قصتنا في المغرب سوى جزء من قصة الوطن
العربي الذي تتالى عليه ظروفه الماثرة .

ان قضية الامة العربية قضية واحدة ويكفي ان يتكاتف
الشعب العربي في جهوده حول جزء منها حتى يتم تكافه حول القضية
بكاملها . القضية هي قضية استعمار متماسك مرتبطة اجزائه ببعضها
البعض والعربي الذي يحاول القضاء عليه في المغرب يحاول القضاء
عليه في اية بقعة من بقاع الوطن العربي ، اننا نهيب بكل عربي لهذا
السبب ان يلتفت الى قضية المغرب ويهتم بها ويحاول المساهمة في
جهادنا قضيتنا واحدة ولو كانت آلامنا في المغرب اعنف واشد .

(ثم يسهب الحديث عن نضال الشعب المغربي في تونس
ومراكش الى ان يصل الى الجزائر فيقول :)

... اما بالنسبة الى الجزائر فالحالة اشد سوءاً لان
الفرنسيين يعتبرون الجزائر جزءاً من فرنسا وجزءاً دون سكان
اذ ليس للجزائري حق المواطن الفرنسي الا ما يطبق عليه من
قانون العقوبات الفرنسي ضد كفاحه معتبراً النضال في سبيل
الاستقلال خيانة عظمى . وفي الجزائر الان ما يربو على / ١٢٠ /
الف جندي من بينهم فرق المظلات وفرق مدربة على حرب العصابات
وهذه الفرق مجهزة بالاسلحة الفنية الحديثة من مدافع ثقيلة وطائرات
وغيرها . وتتخذ حركة التحرير في الجزائر مركزاً هاماً هو
جبال أهراس او العرايس الواقعة في منطقة قسنطينة وهي منطقة
جبلية وعرة ذات غابات كثيفة تبلغ مساحتها / ١٢٠٠٠ / كيلو متر
مربع وتنتشر فيها قرى يبلغ عدد سكانها / ٢٠٠،٠٠٠ / شخصاً
وتزعم المصادر الفرنسية ان كتائب التحرير لا تسيطر الا على
خمسين الف من هذا العدد .

لقد وصلت الثورة في الجزائر الى مرحلة النضوج الى
المرحلة الطيبة المتفائلة وذلك بشهادة العدو من خلال الكتابات
الكثيرة التي تصف بها جريدة الفيغار الفرنسية ولا موند الفرنسية
اعاجيب اعمال كتائب التحرير .

— انتهى —

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيحة
انقلابات	انقلاب	٨	٤
فهاجر	منهاجر	١٧	١٠
الاسبان	الاسلام	٤	١٧
مملكه	صلكه	١٥	٢٦
ساعد على هذا	هذا	١١	٣٧
فأوجدت	فأجدت	٦	٤٥
حيث أبي	أبي	٢	٥١
صرف	صرفه	٧	٥١
ما	مما	٧	٥٣
الوحشية	اوحية	١٥	٦١
اخوته	اخرته	١٠	٦٥
العربي	المغربي	١٠	٦٥
لا تمت	لا تمت	١٦	٧٠
حتى اقصى	حين اقصى	١٥	٧٣
خطا	خط	٨	٧٧

الفهرس

٣	المقدمة
٧	تعريف الاستعمار
٨	لمحة تاريخية عن المغرب العربي
١٢	جغرافية الجزائر
١٥	الجزائر قبيل الاحتلال العثماني
٢١	الجزائر تحت حكم الاتراك
٢٣	اضمحلال الدولة الجزائرية
٢٧	العلاقات بين فرنسا والجزائر منذ عهد النهضة
٣٢	ملاحظات حول الجزائر وهي تحت الحكم العثماني
٣٤	فرنسا قبيل فتح الجزائر
٣٧	الحالة الاقتصادية في الجزائر قبل الاحتلال
٣٨	الاسباب المباشرة والبعيدة لفتح الجزائر
٤٨	احتلال الجزائر
٥٢	اسباب سقوط الجزائر
٥٤	الجزائر تحت الحكم افروني
٧٢	الثورات في الجزائر
٩٠	آراء في الكفاح الجزائري

ترقبوا في الأجزاء التالية :

٢ - العراق في نضاله الأخير

٣ - مصر تقارع الاستعمار

٤ - ليبيا والتاج الادريسي

٥ - البحرين جنة العرب

٦ -

وكتب اخرى تبحث في نضال العرب في التاريخ
الحديث وتصور اعمال الاستعمار الازرق .

منشورات دار الثقافة العربية





منشورات
دار الثقافة العربية



Princeton University Library



32101 105901134

P